وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعـة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ

العلاقات العثمانية الأوروبية وأثرها على الإيالات المغاربية من خلال الوثائق العثمانية خلال النصف الثاني من القرن (10هـ/16م)

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة: إيـمـان فـيـفـو

إشراف: دة/ سعاد آل سيد الشيخ

المشرف المساعد: دة/ رحيمة بيشي

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة
ناصر بلحاج	بروفيسور	رئيسا
سعاد آل سيد الشيخ	محاضر – أ–	مشرف
رحيمة بيشي	محاضر – ب –	مشرف مساعد
إبراهيم طاس	محاضر – ب –	مناقش

الموسم الجامعي:

1444 هـ/ 2022 – 2023م

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعـة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ

العلاقات العثمانية الأوروبية وأثرها على الإيالات المغاربية من خلال الوثائق العثمانية خلال النصف الثاني من القرن (10هـ/16م)

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة: إيـمـان فـيـفـو

إشراف: دة/ سعاد آل سيد الشيخ

المشرف المساعد: دة/ رحيمة بيشي

الاسم و اللقب	الـرتـبـة	الـصـفـة
ناصر بلحاج	بروفيسور	رئيسا
سعاد آل سيد الشيخ	محاضر – أ –	مشرف
رحيمة بيشي	محاضر – ب –	مشرف مساعد
إبراهيم طاس	محاضر – ب –	مناقش

الموسم الجامعي:

1444 هـ/ 2022 – 2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات و بنوره تنزل البركات أشكر الله العلي القدير و أحمده لتوفيقي في إنجاز هذا العمل المتواضع

إلى الجوهرة النفيسة أمي الغالية حفظها الله و رعاها التي لم تترك لحظة من دعائها لي .

إلى والدي العزيز بارك الله في عمره

إلى كل إخوتي الأعزاء سمية ، حياة ، نبيلة ، بشرى فاروق ، شرف الدين

إلى الكتاكيت أبناء أختي هيثم و رياض و سارة و وفاء

شكر و عرفـان

الحمد لله حمدا مباركا كثيرا على توفيقي لهذا العمل و يسر لي انجازه و اسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل العلم و ممن يخدمونه

من باب من لا يشكر الناس لا يشكر الله

اتقدم بشكري الخالص إلى أستاذتي المشرفة " آل سيد الشيخ سعاد " التي بذلت جهد في هذا العمل

كما أوجه شكري و تحياتي لأستاذتي المشرفة المساعدة

"بـيـشـي رحـيـمـة "

التي وجهتني و لم تبخل علي بالعون و الإرشاد و سهرت على مساعدتي لإنجاز هذا العمل المتواضع فبارك الله فيها و في أبنائها

كما أتقدم بالشكر الجزيل لثانوية جواليل على ترحيبها الحار بي لإجراء التربص

قائمة المختصرات :

1 – المختصرات باللغة العربية :

ط:الطبعة

تر: ترجمة

تح : تحقيق

هـ : الهجري

م : الميلادي

د.س.ن : دون سنة النشر

د.ب .ن : دون بلد النشر

د.د.ن : دون دار النشر

ص : الصفحة

2– المختصرات الاجنبية :

P : page

Op.Cit :Ouvrage précité.

Pp : page Contenues .

مقدمة

يعد البحر الأبيض المتوسط منطقة اتصال ومبادلات وتلاق بين القارات الثلاث إفريقيا و آسيا و أوروبا ،إلا أنه شهد أواخر القرن (9 هـ / 15 م) و بداية القرن (10 هـ / 16م) صراعا وتنافسا بين الدولة العثمانية والامبراطورية الإسبانية على مناطق النفوذ لتوسيع رقعتهما الجغرافية و لكسب حلفاء جدد للمواجهة بهم ضد العدو.

لم يطق الإسبان تواجد المسلمين في إسبانيا فكرهوا إقامتهم هناك بسبب حقدهم على عليهم و هذا بتأجيج لهيب الكره من طرف الكنيسة ما جعل قواهم تتوحد بالزواج السياسي بين فرديناند وإيزابيلا، مما عجل بسقوط غرناطة 1492 م آخر معاقل المسلمين هناك ، و بالفعل تمكن الاسبان من ممارسة أبشع أنواع الظلم و الاضطهاد على مسلمي الأندلس الذين لاذوا إلى بلاد المغرب الإسلامي فرارا بدينهم و ممتلكاتهم ، و من ذلك الوقت بدأت مواجهات بين القوى الاسلامية و النصرانية بتوجيه حملات على بلاد المغرب الاسلامي رغبة منهم في الانتقام من المسلمين ، و بهدف تنصيره ،نظرا لما كان يعيشه من أوضاع متردية و متدهورة نتيجة صراع الدويلات الثلاث فيما بينها على إرث الموحدين و كل دويلة ترى بأن لها الاحقية في هذا الميراث .

كل هذه الأحداث أثرت في البحر المتوسط و جعلته مسرحا لتلك المواجهات و الحروب بين المسلمين و المسيحيين ، باحتلالهم أهم المناطق الساحلية للمغرب الاسلامي مستغلين الفراغ السياسي الذي شهده، ما دفعتهم الضرورة للاستنجاد بالدولة العثمانية التي كانت تمثل قوة اسلامية كبيرة .

و منذ ذلك الوقت تأجج الصراع بين الدولة العثمانية و أوروبا و الذي كان له تأثير على بلاد المغرب الإسلامي ، و من هنا يمكن تحديد طبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية و دول غرب أوروبا و انعكاسه على بلاد المغرب ، من خلال دراستي لموضوع "**العلاقات**

العثمانية الأوروبية وأثرها على الإيالات المغاربية من خلال الوثائق العثمانية في النصف الثاني من القرن (10هـ/16م)".

فكان هذا الموضوع من خلال الوثائق العثمانية التي زودتني بها الأستاذة الكريمة

"بيشي رحيمة "فشكرا لها .

الإطار الزماني و المكاني :

الإطار الزماني : حصرت موضوع دراستي في النصف الثاني من القرن(10هـ / 16م)،لأن الوثائق العثمانية المتوفرة لدي غطت هذه الفترة.

الإطار المكاني : ضفتي البحر الابيض المتوسط والمتمثلة في دول غرب اوروبا الإيالات المغاربية و كذا السلطنة العثمانية .

أهداف الدراسة:

أن الهدف من هذه الدراسة توضيح الأوضاع العامة لكل من الدولة العثمانية و دول غرب أوروبا و كذا دول بلاد المغرب العربي ، وإبراز العلاقات بينهما ، و أثر ذلك على الإيالات المغربية العثمانية، وفق دراسة وثائقية من الأرشيف العثماني .

الإشكالية المطروحة:

الموضوع يدور حول دخول دول غرب أوروبا في التنافس على النفوذ في البحر المتوسط خلال القرن (10 هـ/ 16م) ما جعل بلاد المغرب عرضة لذلك ، يمكن طرح الاشكال التالي:

ما طبيعة العلاقات العثمانية الأوروبية خلال النصف الثاني من القرن (10هـ/16م) التي إستنطقتها الوثائق العثمانية ؟ و كيف عبرت عنها ؟

وتتعلق بالإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية كانت كالآتي :

-كيف كانت الأوضاع السياسية العامة لكل من الدولة العثمانية و دول المغرب العربي و دول غرب اوروبا ؟ خلال القرن (10 هـ/ 16م) ؟

- بما اتسمت علاقة دول غرب أوروبا بالدولة العثمانية ؟ و ما مدى تأثير ذلك على الإيالات المغاربية ؟

خطة الدراسة:

و لمعالجة الاشكالية ارتأيت أن أسير على الخطة التالية :

الفصل التمهيدي : خصصته للتعريف بالوثائق و أهميتها في كتابة التاريخ ، و بما أن دراستي اعتمادا عليها لذا ارتأيت لابد من إدراجها ضمن هذه الدراسة.

الفصل الأول : و عنونته بالأوضاع السياسية للدولة العثمانية و إيالاتها المغاربية و دول غرب أوروبا خلال القرن (10 هـ / 16 م)، و قسمته إلى ثلاث مباحث ، **المبحث الاول**: سلطت فيه الضوء على الأوضاع السياسية للدولة العثمانية خلال القرن(10 هـ / 16م). و**المبحث الثاني**: تطرقت فيه لأوضاع أوروبا خلال القرن 16 م (فرنسا – اسبانيا – الدويلات الايطالية) ، اما **المبحث الثالث** و الاخير ، فاخترت أن أبين الاحوال السياسية للإيالات المغاربية خلال القرن 10 هـ / 16 م .

أما الفصل الثاني تناولت علاقات الدولة العثمانية مع فرنسا و انجلترا و أثرها على الإيالات المغاربية خلال النصف الثاني من القرن 10 هـ / 16 م من خلال الوثائق العثمانية

وقد تطرقت فيه الى مبحثين : **المبحث الاول** و بينت فيه العلاقات العثمانية الفرنسية و كيف اثر ذلك على الايالات المغاربية

أما المبحث الثاني ذكرت فيه العلاقات العثمانية الانجليزية .أما **الفصل الثالث** خصصته للعلاقات العثمانية الاسبانية و اثرها على الإيالات المغاربية خلال النصف الثاني من القرن (

10 هـ / 16 م) ، وتناولت في **الفصل الرابع** علاقات الدولة العثمانية بمالطا و الدويلات الايطالية ، خصصت **المبحث الاول** لمالطا ، و**المبحث الثاني** للدويلات الايطالية :

و في الأخير ختمت دراستي بخاتمة ذكرت فيها مختلف الاستنتاجات المتوصل إليها في الفصول. وملاحق توضيحية ومصادر دراستي، وكذا فهرسا عن الموضوعات.

المنهج المتبع:

لا تخلو أي دراسة أكاديمية من الاعتماد على منهج معين و هذا حسب الدراسة لذا اعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي بأسلوبيه الوصفي والتحليلي، فالأول استعنت به في دراسة ووصف الأحداث التاريخية وكذا وقائع ومجريات المعارك، والتحليلي من خلال تحليل بعض وثائق الارشيف العثماني و وثائق الارشيف الوطني الجزائري .

أسباب اختيار الموضوع:

و من أسباب اختياري للبحث في موضوع العلاقات العثمانية الأوروبية و أثرها على الإيالات المغاربية جملة من الاسباب و هي كالآتي :

– اهتمامي المركز على المواضيع حديثة الدراسة كالذي بين أيدينا ، و الذي تمت دراسته من خلال الوثائق الأرشيفية ،و لمعرفة كيفية التعامل معها و توظيفها.

–رغبتي في معرفة مدى تأثير الصراع الاسلامي المسيحي في حوض البحر الأبيض المتوسط على العلاقات العثمانية بدول غرب أوروبا خلال القرن 10 هـ / 16م و كيف انعكس على الإيالات العثمانية في المغرب . من الوثائق .

– و من اسباب اختيار النصف الثاني من القرن 10 هـ / 16م لأن هذا القرن شهد أحداث كبيرة على مستوى البحر المتوسط ، وكذا الوثائق غطت هذه الفترة .

– نظرا لنقص الدراسات الوثائقية في هذا الموضوع أردت تسليط الضوء عليه لاستكشاف كيف استنطقت الوثائق هذه العلاقات .

الدراسات السابقة:

-دراسة درويش الشافعي بعنوان : **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي** مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، و التي استفدت منها في دراسة أوضاع إسبانيا و علاقتها مع الدولة العثمانية .

-دراسة الشيخ لكحل بعنوان : **نشاط وكالة الباستيون و أثره على العلاقات الجزائرية خلال النصف الاول من القرن 17 م / 11هـ .**

(1604 – 1659م / 1013 – 1070هـ)

المصادر و المراجع الخاصة بالدراسة: على سبيل الذكر لا الحصر و هي:

- **الوثائق الارشيفية :**

أ – الأرشيف العثماني

ب – الأرشيف الوطني الجزائري.

المصادر:

- اعتمدت على كتاب " ملوك الجزائر: لمؤلفه ديقو دو هايدو الذي أفادني في التعريف بحسن باشا (ابن خير الدين).

المراجع :

ابن غلبون : **التذكار فيمن ملك طرابلس و ما كان بها من الأخبار** الذي افادني في كتابة اوضاع طرابلس الغرب في الفصل الاول

- الفونص روسو : **الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر** استقيت منه معلومات عن أحوال تونس السياسية في الفصل الاول ، و كذلك استعنت به في هجمات الاسبان على تونس في الفصل الثالث و غيره

محمود ناجي **تاريخ طرابلس الغرب** ترجمة عبد السلام آدهم افادني في معرفة تنازل الاسبان لفرسان مالطا عن طرابلس الغرب

- عزيز سامح آلتر: **الاتراك العثمانيون في شمال افريقيا** ترجمة محمود علي عامر و قد استفدت منه تقريبا في كامل الدراسة
- شكيب ارسلان: **تاريخ الدولة العثمانية** تحقيق حسن السماحي سويدان كذلك اعتمدت عليه في مواضع كثيرة
- عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار **التاريخ الاوروبي الحديث** استقيت منه معلومات حول اوضاع اوروبا خلال الفترة الحديثة
- ادريس الناصر رائسي : **العلاقات العثمانية الاوروبية في القرن السادس عشر** و قد استفدت منه في معظم هذه الدراسة تقريبا

و كذلك اخذت معلومات بسيطة من كتاب : مولاي بلحميسي :

Marine et Marins D'alger (1518 -1830)

صعوبات الدراسة :

لا تخلو اية دراسة علمية مهما كان لباحثها زاد معرفي كبير من الصعوبات المعترضة و من خلال هذه الدراسة فقد واجهتني صعوبات :

- جدة الموضوع و لم أعثر على دراسات مشابهة له .
- موضوع واسع و متشعب يحتاج وقتا كبيرا للإلمام بكامل جوانبه، في وقت ضيق .
- وفرة المادة العلمية صعب علي حصرها في هذا الوقت الضيق .
- اختلاف المصادر و المراجع عن الحدث الواحد .

و أخيرا ما يجدر بي قوله اتمنى ان اكون أفدت و لو بالشيء القليل من خلال هذه الدراسة فإن أصبت فهو توفيق من الله و ان اخطأت فمن نفسي .

الفصل التمهيدي : التعريف بالوثائق العثمانية

تمهيد:

أولا: تعريف الوثائق

ثانيا : أهمية الوثائق في كتابة التاريخ

تعد الوثائق الأرشيفية أي كان نوعها من أهم المصادر التي يجب على الباحث اقتنائها لما تحويه من معلومات مفيدة و حجج دامغة و تجعل من البحث ذا قيمة .

و ما زاد في أهميتها تعدد مجالاتها في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية و الثقافية و السياسية و غيرها .

لذا يجب على الباحثين التركيز عليها في دراساتهم و أبحاثهم و محاولة توظيفها بشكل سليم لتقديم بحوث علمية أكاديمية .

و قد ساعدتني الوثائق في معرفة كيف نشأت العلاقات بين الدولة العثمانية و دول غرب أوروبا و كيف تطورت و مدى تأثير ذلك على بلاد المغرب العربي .

خلال القرن (10هـ / 16م) ، حيث كان الصراع و التنافس يسود ضفتي المتوسط بين القوى الإسلامية و المسيحية التي كانت بين مد و جذر على مناطق النفوذ ، و خاصة النصف الثاني منه ، و من خلال الرسائل المتبادلة بين السلاطين العثمانيين و حكام الإيالات ، و ملوك أوروبا ، قد أصبحت هذه الرسائل عبارة عن وثائق محفوظة في دور الأرشيف ، بعضها حقق و بعضها ترجم و بعضها في طور الدراسة و البحث .

فموضوع دراستي من خلال بعض هذه الوثائق لذا كان لابد أن أتحدث عنها في هذا الفصل .

أولا – التعريف بالوثائق:

من وثق يوثق توثيقا أي كتب باهتمام

فالوثيقة هي المصدر الذي يعتمد عليه الباحث التاريخي ، و هي الكتابات الرسمية أو شبه رسمية مثل الأوامر و القرارات و المعاهدات و الاتفاقيات و المراسلات السياسية و الكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد و التجارة أو عادات الشعوب و نظمهم و تقاليدهم [1] .

و الوثيقة لا تعني ما هو مكتوب على الورق ، بل هي كل ما دونه الإنسان على أي شيء : العظم أو الطين غير الناضج أو الجلد أو البردي أو الخشب [2] .

تأتي الوثيقة في المقام الأول كمصدر للكتابة التاريخية لأنها تحوي مادة تاريخية حية ، غير قابلة للتغيير و المقصود بها الأوراق الرسمية لمختلف الدول كالتقارير السرية و أوراق خاصة من قبيل المسودات و أوراق المعاهدات و المراسلات و التعليمات و التسجيلات .. وغيرها ، و يتضمن هذا الصنف من المصادر أو الدليل التاريخي دور المحفوظات أو الارشيف [3] .

و التي يتم تحليلها و نقدها ، و علم الوثائق قريب الصلة من الأرشيفات باعتباره يهتم أساسا بالمستند أو الوثيقة (الدبلوم) الصادرة عن السلطة الشرعية التي تدخل ضمن ودائع المحفوظات (الارشيفيات) [4] .

و نتيجة لتوفر المعلومات الهامة و الحية في هذه الوثائق ، فقد اشتغل عليها الباحثين لتحقيقها و معرفة ما تحمل في طياتها .

و لهذا قد أكثر المؤرخون استخدامها و خاصة ما تعلق منها بالمراسلات و الوثائق الإدارية و القضائية عن طريق الإسناد أو استخدامها مباشرة من الإدارات و الدواوين [1] .

---

[1] – عبد الله طه عبد الله السلماني : **منهج البحث التاريخي** ، دار الفكر ، عمان ، 2009 م ، ص 96 .

ميمونة ميرغني حمزة : دراسات في منهجية البحث التاريخي ، مر : إحمود اللصاصمة ، دار الخليج ، عمان ، 1432[2]هـ / 2011م ، ص 82.

[3] – مُحَمَّد بن عميرة : **منهجية البحث التاريخي** ، ط 2 ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2014م ، ص70.

[4] – ناصر الدين سعيدوني : **أساسيات منهجية التاريخ** ،دار القصبة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2014 ، ص 70 .

إذا فالوثائق التاريخية التي هي عبارة عن أوراق أو سجلات سواء مكتوبة بخط اليد أو مطبوعة أو حتى وإن كانت مخلفات أثرية كالنقوش على الصخور أو جدران الكهوف ، فتعتبر ذات أهمية كبيرة جدا لدى باحثي التاريخ لأنها تعد من المصادر الأساسية ، و لها حجة قوية في بحوث الباحثين .

ثانيا – أهمية الوثائق في كتابة التاريخ :

تعد الوثائق من الأصول لذا يجب على الباحثين العودة لها لتكون بحوثهم ذات قيمة كبيرة .

لا يكون البحث ذا قيمة و أهمية إلا إذا اعتمد على المصادر الأولية التي تمكن الباحث من استخلاص الحقيقة كاملة غير منقوصة ، ومن ذلك المصادر المادية كالآثار و العمران ، و الشفوية كالشهادات الحية للذين عاصروا الحادثة ، و أهمها المصادر المكتوبة و منها الوثائق التي تشكل المصدر الأساسي لأي باحث في التاريخ ، و كما يرى المؤرخين الفرنسيين "لانجو" و "سينويوس ": " أن التاريخ يصنع من الوثائق ، و حيث لا وثائق لا تاريخ "كما أكد ذلك أسد رستم" في قوله : " إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ "[2] .

و من أهم الوثائق المتعلقة بالتاريخ العربي العثماني تلك المخطوطات الهامة الموجودة في استانبول بتركيا و التي تبرز الحقبة الزمنية التي كان فيها العرب جزء من الإمبراطورية العثمانية فتحقيق المخطوط و دراسته باعتباره إرثا حضاريا ليست خاصية من خاصيات التراث العربي

[1] – وجيه كوثراني : **تاريخ التأريخ اتجاهات – مدارس – مناهج** ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، لبنان ، 2012 م ، ص 92 .

[2] – مُحَّد بوشنافي : **أهمية الوثائق في الكتابات التاريخية عند الدكتور يحي بو عزيز** ، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية و التاريخية ، العدد الاول ، 2011م ، ص 31 .

الإسلامي وحده ، بل هو ثقافة مشتركة بين جميع الأمم ذات الحضارات المتجذرة في أعماق التاريخ [1].

و بسبب قلة الدراسات التاريخية العربية الجادة ظهرت كتابات عن العهد العثماني لا ترتقي إلى مستوى الدراسات الأكاديمية و لا تخدم الدراسات التاريخية لتأثرها بأفكار ايديولوجية دون الرجوع إلى المصادر ، و الوثائق الأرشيفية الأصلية التي تعد اللبنة الأساسية للبحوث التاريخية العربية في العهد العثماني ، إضافة إلى الاعتماد على وثائق الأرشيفات المحلية الموجودة في البلدان العربية في دراسات المؤرخين لهذه الحقبة التاريخية [2] .

و الوثائق هي بمثابة الزاد للمؤرخ و التي تجعله يمتلك قسطا كبيرا من المعلومات المهمة بحجج و أدلة قوية كونها تعد من الأصول، فاعتماد الباحث المؤرخ عليها يكون قد اكتسب مادة مصدرية بالدرجة الأولى ، و يكون بحثه بحثا قيما و مفيدا.

لذا فالاستغناء عن الوثيقة يفقد البحث التاريخي قيمته ، و قد يصبح تافها لا قيمة له و تكرارا لما كتبه الآخرون ، أي أن الوثيقة تمثل أداة هامة و خطيرة في يد المؤرخ ، تمكنه من الوصول إلى حقائق كانت مجهولة ، و تصحيح أخرى ، وهذا ما يجعل الباحث يبذل قصارى جهوده للحصول عليها و ينفق من أجل ذلك كثير من الوقت [3] .

فالوثائق العثمانية في الجزائر تكونت نتيجة تسجيلات مستمرة لأوامر و ملاحظات كانت تصدر عن حكام الإيالة و موظفي البايليك أو ترد عليهم من سلاطين الباب العالي و موظفيه ، كما أن قسم منها ناتج عن نشاط وكلاء الإيالة بالخارج أو قناصل تجار الدول

[1] – مسعود بقادي : **دور الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية من خلال كتابات عبد الجليل التميمي** ، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ، ص ص 129 – 130 .

[2] فوزية محنوف : **أهمية وثائق الأرشيف العثماني في الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني** ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، العدد 46 ، 2016 ، 62 .

[3] – مُحَّد بوشنافي : **أهمية الوثائق في الكتابات التاريخية عند الدكتور يحي بو عزيز ، المرجع السابق** ، ص 31 .

الأوروبية المقيمين بالجزائر ، ما ترتب عنه تكوين وثائق تتداخل المعلومات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في كثير منها ، مما يجعل الرجوع إليها أمرا في غاية الأهمية ، بحيث لا يمكن الاستغناء عن أي وثيقة منها رغم تداخل الموضوعات و صعوبة استخلاص المعلومات و ترتيبها و الانتفاع بها [1] .

فالدارس لتاريخ الجزائر في العهد العثماني يجد أمامه كما هائلا من الوثائق موزعة على دور الأرشيف داخل الوطن و خارجه ، و التي لها أهمية كبيرة نظرا لتنوع موضوعاتها ، فوثائق مهمة دفتري و خط همايون تتضمن مواضيع كثيرة و منها تعيين موظفي الإيالة و عزلهم ، معاقبة المخالفين ، و القضايا العسكرية كالتسليح و تجنيد المتطوعين ، و الشكاوى و غيرها، فالسلطان باعتباره المسؤول على كامل الدولة العثمانية ، يتمتع بصلاحية تعيين موظفي الإيالة وعزلهم ، فلما عين حسن باشا بايلربايا على إيالة الجزائر(976هـ / 1568م) دعا كل سكان الإيالة للامتثال لأوامره [2] و غيرها من الأوامر السلطانية في تلك المجالات

و قد بذل مؤرخو الجزائر جهودهم بعد الاستقلال و وجهوا عنايتهم الفائقة للبحث عن الوثائق في شتى دور الأرشيف و المخطوطات و استغلالها في كتابة التاريخ الوطني بهدف تصحيح كثير من المغالطات التي ألصقها الفرنسيون بتاريخنا من خلال كتابات متحيزة تخلو من الموضوعية و العلمية [3]

و يمكن القول أن الوثائق مهما كان نوعها سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة أو منقوشة، لها دور كبير في كتابة التاريخ ، رغم صعوبة الحصول عليها و تحقيقها إلا أنها تمكن الباحث من

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، ط2 ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2009 م ، ص 51 .

[2] – مُحَمَّد بوشنافي :**الوثائق العثمانية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني** ، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ، العدد 09 ، 2014 م ، ص ص 295 – 296

[3] – مُحَمَّد بوشنافي : **أهمية الوثائق في الكتابات التاريخية عند الدكتور يحي بو عزيز** ، **المرجع السابق** ، ص 32 .

استسقاء معلومات جد مهمة ، لتكون دراسته قيمة لما اكتسبه من معلومات جديدة أو معلومات من منظور مخالف لما جاء به الآخرون ، لذا تجد الباحث يفني كل جهوده في الاشتغال على الوثائق .

الفصل الأول: الأوضاع السياسية للدولة العثمانية و إيالاتها المغاربية و دول أوروبا الغربية (إسبانيا – فرنسا – الدويلات الإيطالية –مالطا –إنجلترا) خلال القرن 10 هـ / 16 م

المبحث الأول : أوضاع الدولة العثمانية خلال القرن 10هـ / 16م

المبحث الثاني : أوضاع اوروبا خلال القرن 16م (إسبانيا – فرنسا – الدويلات الإيطالية – مالطا – إنجلترا

المبحث الثالث : الأوضاع السياسية للإيالات المغاربية خلال القرن 10هـ/ 16م

إن الحديث عن موضوع علاقات الدولة العثمانية بدول الحوض الغربي للمتوسط و أثر ذلك على الإيالات المغاربية يجعلنا نبحث لمعرفة أحوالها على مستوى مختلف الأصعدة و خاصة السياسية منها ، و العسكرية و غيرها أولا قبل الخوض في غمار البحث عن طبيعة العلاقة بينهم ،الأمر الذي يمكننا من التعرف على نوع تلك العلاقات أكانت مستقرة أم متذبذبة ، و عن كيفية حدوثها و العوامل التي ساعدت على إنشائها و تحكمت فيها ، لذا ارتأيت لابد من ذكر هذا العنصر و عدم اغفاله.

المبحث الأول : أوضاع الدولة العثمانية خلال القرن (16 م / 10 هـ)

قبل حلول القرن (10 هـ / 16 م) كانت الدولة العثمانية عبارة عن إمارة ناشئة ، حيث كان سلاطينها و أمرائها في حروب و صراع مع البيزنطيين في عهد عثمان ابن أرطغرل ، و بعد زوال دولة الروم السلاجقة سنة 1300 م بسبب إغارة المغول عليها ، الأمر الذي كان في صالح عثمان الذي أعلن استقلاله و راح يؤسس دولته اقتداء بغيره من الأمراء بحيث أسس كل منهم حكومة مستقلة على أنقاض دولة الروم السلاجقة أو الأتراك السلاجقة و يعتبر عثمان المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية [1] .

و بعد وفاة أرطغرل سنة (699 هـ / 1299 م) خلفه في الحكم ابنه عثمان(656 هـ / 1258 م) الذي سار على سياسة أبيه في التوسع في أراضي الروم ، و بعد وفاته خلفه ابنه أورخان (726 – 761 هـ / 1327 – 1360 م) الذي سار على نهج أبيه و قد سقطت في يده نيقوميديا ، حكم بعده السلطان مراد الأول (761 – 791 هـ / 1360 – 1389 م) و كان شغوفا بالغزوات و بناء المساجد و المدارس و الملاجئ [2] .

[1] – إسماعيل أحمد ياغي : **الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث** ، مكتبة العبيكات ، (د. ط)، (د. س. ن)، ص 14 .

[2] – علي مُحَمَّد مُحَمَّد الصلابي : **الدولة العثمانية عوامل النهوض و اسباب السقوط** ، ط1 ، دار البيارق ، 1421هـ – 2001 م ، ص ص 44 – 58 .

و يليه في الحكم السلطان بايزيد الأول (1389 – 1402) في عهده صارت مملكة الصرب تابعة للملكة العثمانية كما أنه ألحق بمملكته بلدة فيلادلفية ، و لما أُسر ثارت الممالك البلقانية التي كانت خاضعة له مثل بلغاريا و الصرب و رومانية ، و وقع الشقاق بين ابنائه و اقتتلوا على الحكم [1].

و حكم بعده السلطان مُحَمَّد الأول المولود سنة (781 هـ- 1379 م) و يعرف ب مُحَمَّد جلبي قد تفرد بالحكم ، و تمكن من إعادة بناء الدولة و توطيد أركانها و كانت سياسته تهدف إلى بناء الدولة و تقويتها من الداخل لذلك حالف إمبراطور القسطنطينية و أعاد إليه بعض المدن على شاطئ البحر الأسود ، و بعد وفاته عام (824 هـ – 1424 م) اعتلى عرش الحكم مراد الثاني الذي استطاع القضاء على حركة التمرد الداخلية التي قام بها ابن عمه مصطفى و المدعومة من قبل أعداء الدولة العثمانية ، كما وجه ضربات موجعة لحركات التمرد في البلقان [2].

ثم خلفه في الحكم مُحَمَّد الثاني (الفاتح) المولود في رجب عام (833هـ الموافق ل 20 افريل 1429م) و تمت مبايعته من طرف أهل الحل و العقد سنة (855هـ - 1451 م) أخذ يتم ما بدأه والده مراد التحضير لفتح القسطنطينية [3] .

أمسك زمام الحكم السلطان بايزيد الثاني خلف والده ، و قد حدث في عهده صراع بين الدولة العثمانية و المماليك على الحدود الشامية إلا أنه لم يحتدم الصراع إلى حد التهديد بحدوث حرب شاملة ، كما أنه اتصل مع بعض دول أوروبا و باسم الديبلوماسية أعطى لهم حصانة و امتيازات التي فتحت المجال أمام أعداء الأمة الإسلامية ، الأمر الذي ساعد على

[1] – شكيب أرسلان : **تاريخ الدولة العثمانية** ، تح : حسن السماحي سويدان ، ط 1 ، دار ابن كثير للطباعة و النشر و التوزيع ، لبنان ، 1432 هـ – 2011 م ، ص ص 65 – 73 .

[2] – علي مُحَمَّد مُحَمَّد الصلابي : **المرجع السابق** ، ص ص 73 – 79 . .

[3] – علي حسون : **تاريخ الدولة العثمانية** ، ط3 ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، 1415هـ / 1992م ، ص 31 .

معرفة مواطن ضعفها لإفسادها و التآمر عليها لإضعاف سلطان العقيدة في نفوس أبناءها[1].

فبعد وصول السلطان سليم الأول إلى عرش السلطنة خلفا لأبيه بايزيد عام 1512 م ، حيث ظهرت في بداية حكمه تحديات الشيعة الصفويين ضده في آسيا الصغرى بقيادة الشاه قولي الذي اعتمد على دعم الشيعة له في إيران [2] .

حيث قام السلطان سليم بتوجيه سياسة الدولة نحو الشرق بفعل عدة عوامل أهمها حركة الصفويين الشيعة في الأناضول و تحويل التجارة الدولية بعد اكتشاف القارة الامريكية .

و في مستهل القرن 16 م كانت منطقة الشرق الأوسط واقعة تحت سيطرة ثلاث قوى و هي الدولة العثمانية التركية و الدولة الإيرانية و دولة المماليك المصرية– السورية ، و في ذلك الوقت كانت إيران آخذة في التوسع في عهد الشاه إسماعيل الصفوي ، الذي تمكن من احتلال العراق العربي و بلاد خرسان و ديار بكر سنة 1508 م و مدينة بغداد و أذربيجان و بلاد فارس و امتدت مملكته من الخليج الفارسي إلى نهر امودارياً[3] .

وقد حاول الصفويون بزعامة الشاه إسماعيل الصفوي نشر المذهب الشيعي بين قبائل الأناضول مستغلا سياسة السلطان بايزيد السلمية .

وفي عهد السلطان سليم الأول ساءت العلاقات العثمانية الصفوية حيث حاول السلطان سليم استئصال الخطر الشيعي الزاحف عليه من خلال إجراء مذابح كثيرة للشيعة مستندا على الفتوى ، كما رد الشاه إسماعيل على ذلك بإقامة مذابح بين السنة في بلاده ، و أعلن

---

[1] – مُحَمَّد علي الصلابي : **المرجع السابق** ، ص ص 164 – 165 .

[2] – تيسير جباره : **تاريخ الدولة العثمانية 1280 – 1924** ، جامعة القدس ، 1436 هـ / 2015 م ، ص 104.

[3] – سعيد احمد برجاوي : **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي و العسكري** ، الاهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1993م ، ص 91 .

السلطان سليم الجهاد الديني و خرج لقتال الصفويين [1]. بقيادة جيوشه من مدينة أدرنه في(23 محرم 920 هـ الموافق ل 19 مارس 1514م) و في أثناء مسيره تبادل مع الشاه إسماعيل رسائل مفعمة بالسباب ، و سار جيش السلطان سليم بقيادته قاصدا مدينة تبريز عاصمة العجم ، فوقع القتال بين الجيشين في وادي جال دران في(3 رجب 920 هـ / 24 اغسطس 1514 م) فانتصرت الجيوش العثمانية نصرا مبينا [2] .

و بعد أن تفرغ السلطان سليم الأول من محاربة الصفويين بدأ في الاستعداد لضم دولة المماليك[3] .

حيث جرت معركة بين السلطان سليم و المماليك في مرج دابق (1516 م) و قد قتل قانصوه الغوري الذي كان متحالفا مع الشاه إسماعيل لمحاربة الدولة العثمانية ، و بعد هذه المعركة احتل سليم مدائن حلب و حماه وحمص و دمشق ثم احتل العثمانيون مدينة غزة ثم مدينة القاهرة رغم مقاومة المماليك ، حيث تم القبض على طومان باي من قبل العثمانيين و أمر السلطان العثماني سليم الأول بشنقه في(ابريل 1517 م)[4] .

و قد حقق العثمانيون انتصارا ساحقا على المماليك في معركة غزة ثم الريدانية ، وقد تلقوا الهزيمة سنة (1516 م – 1517 م) و بذلك تعتبر آخر صفحة من صفحات القوى الإسلامية سواء في الشرق الأوسط أو في العالم بحيث فقدوا قوتهم و حيويتهم و قد زالت دولتهم و ذهبت البلاد التي كانت تحت حكمهم للنفوذ العثماني [5].

---

[1] – اسماعيل ياغي : **المرجع السابق** ، ص 56 .

[2] – مُحَمَّد فريد بك : **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، ط 2 ، (د.د.ن) ، (د.س.ن) ، ص 74 .

[3] – علي حسون : **المرجع السابق** ، ص61 .

[4] – أبي مصعب السوري : **مختصر تاريخ الدولة العثمانية**، (د.د.ن) ، (د.ب.ن) ، 1440 هـ / 2019 م ، ص 29.

[5] – علي مُحَمَّد الصلابي : **المرجع السابق** ، ص ص 188 – 189 .

و قد قام العثمانيون بضم المناطق العربية خاصة مكة و المدينة إلى إمبراطورتيهم، و بذلك أصبحت الدولة العثمانية دولة الخلافة و لم تعد دولة حدودية و اعتبر سلاطينها منذ تلك اللحظة أنفسهم حماة كل العالم الإسلامي و ليسوا حماة حدودهم فقط[1].

ومن أهم أهداف فتوحات السلطان سليم الأول سيطرة العثمانيين على أغنى مراكز طرق عبور التجارة في العالم و هكذا تضاعفت واردات الدولة العثمانية و امتلأت خزائنها بالأموال و بهذا أصبح بوسع السلطان الجديد سليمان القانوني [2] (1520 – 1566) أن يمول خططه للقيام بفتوحات عالمية [3].

كان عهد السلطان سليمان القانوني يمثل رأس الهرم بالنسبة لقوة الدولة العثمانية و مكانتها بين دول العالم آنذاك ، و يعتبر عصر سليمان القانوني هو العصر الذهبي للدولة العثمانية حيث شهدت سنوات حكمه من (926 – 972 هـ / 1520 – 1566 م) توسعا عظيما لم يسبق له مثيل ، و أصبحت أقاليم الدولة العثمانية منتشرة في ثلاث قارات عالمية [4].

و قام السلطان سليمان القانوني بفتح بلغراد و جزيرة رودوس في البحر المتوسط و غيرها و دخل في بلاد القرم و الأفلاق ، ثم فتح بلاد المجر و عاصمتها و حارب النمسا و حاصر

---

[1] – خليل اينالجيك : **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار** ، تر : مُحَّد الارناؤوط ، دار المدار الاسلامي ، لبنان ، 2000م ، ص 55 .

[2]– سلطان عثماني (1494 – 1566) خلف أباه سليم الأول 1520 م بلغت الإمبراطورية العثمانية أوج عظمتها ، واصل فتوح أبيه في البلقان فاستحوذ على بلجراد 1521 م طرد الاسبتارية من رودس 1522 م ، أوقع هزيمة ساحقة بالهنقاريين في معركة موهاك 1526 و حاصر فيينا 1529 م لمزيد من المعلومات **ينظر**: الموسوعة العربية الميسرة ، ص 1881 .

[3]– خليل اينالجيك : **المرجع السابق** ، ص 56 .

[4]– علي مُحَّد الصلابي : **المرجع السابق** ، ص 202 .

فيينا و دخل مدينة تبريز للمرة الثانية[1] سنة (1534 م) بعدما استنجد به السنيين في بغداد حيث أرسل حملة قوية بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا لاحتلال العراق ، و قد تقدم أعيان بغداد و حكام المناطق القريبة منها و أعلنوا ولاءهم للسلطان العثماني ، و بهذا أصبحت الراية العثمانية تهدد البرتغاليين في منطقة الخليج القريبة من البصرة [2] .

و بوفاة السلطان سليمان القانوني سارت الدولة العثمانية نحو الانحطاط ثم الانهيار ، و خاصة بتولي ابنه سليم خان الثاني[3] (1566 – 1577) الذي لم تكن فيه مؤهلات و صفات الحكم ، حيث قام بتوقيع معاهدات الصلح و الهدنة كالصلح بينه و بين النمسا سنة (1568 م) في معاهدة من شروطها حفظ النمسا أملاكها في المجر ، و كذا الهدنة مع بولونيا [4] . كما قام بمنح بعض الامتيازات للفرنسيين و منها إعفاءهم من دفع الخراج و كذا حق القناصل في أخذ أسراهم [5] .

و حكم بعده السلطان مراد الثالث (982 – 1003 هـ / 1574 – 1594 م) بعد وفاة والده اهتم بفنون العلم و الأدب و الشعر أتقن ثلاث لغات التركية و العربية و الفارسية ، عمل على تنفيذ السياسة التي انتهجها والده من قبل ، قام بعدة حروب في أماكن مختلفة أدخل بولونيا تحت الحماية العثمانية (983 هـ – 1575م) بعد هروب ملكها إلى فرنسا قد اعترفت النمسا بمعاهدة الصلح مع العثمانيين عام (984 هـ – 1576 م) الذين استنجدوا بالسلطان العثماني بعد هجوم التتار على حدودهم فأعلن حمايتها بمعاهدة رسمية ،

[1] – علي حسون : **المرجع السابق** ، ص ص52 – 53.

[2] – تيسير جبارة : **المرجع السابق** ، ص 122 .

[3]

[4] – أبي مصعب السوري : **المرجع السابق** ، ص 43 .

[5]– فريد بك : **المرجع السابق** ، ص 110 .

و حدد السلطان مراد الثالث الامتيازات مع فرنسا و البندقية و زاد في بعض الامتيازات القنصلية [1] .

و المستنتج من هذا أن الدولة العثمانية بدأت تسير نحو الانهيار و التقهقر و بدأ الضعف يدب في أوصالها و خاصة بعد عصر حكم السلاطين الضعاف و لولا قوتها و مكانتها الكبيرة في الحوض الغربي للمتوسط لسقطت مرة واحدة.

المبحث الثاني : أوضاع أوروبا خلال القرن 16 م (فرنسا – إسبانيا – الدويلات الإيطالية – مالطا – إنجلترا)

لقد كانت شبه جزيرة إيبيريا مقسمة إلى ثلاث ممالك و هي مملكة قشتالة و مملكة اراغون ، و مملكة البرتغال في الجزء الغربي [2] حيث شهدت تطورات هامة في نهاية القرن 15 م و التي أثرت على إسبانيا و على أوروبا و على منطقة الحوض الغربي للمتوسط بشكل عام ، و من هذه التطورات زواج فرديناند (1467 -1516) ملك ارغوان بإيزابيلا ملكة قشتالة و تم توحيد المملكتين ، و ظهور مملكة اسبانيا الكاثوليكية الموحدة [3] .

و لما استكمل الإسبان وحدتهم دخلوا في منافسة مع البرتغاليين حول احتلال المدن المغربية و لإنهاء الصراع القائم بينهما ، توصلوا إلى عقد اتفاقيات تفاهم أهمها اتفاقية طليطلة في سنة 1480 م و اتفاقية طورديسيلاس 1494 م ، و اتفاقية سينترا سنة 1509 م التي حددت

---

[1] – مُحَمَّد علي الصلابي : **المرجع السابق** ، ص 292 .

[2] – جميلة ثابت : **دور الاعلاج في العلاقات بين الجزائر و دول جنوب غرب أوروبا خلال القرنين 10 – 11 هـ / 16 –17 م** ، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 1431 – 1432 هـ / 2010 – 2011 م ، ص 27 .

[3] – درويش الشافعي : **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي** ، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 1431 – 1432 هـ / 2010 -2011 م ، ص 20 .

مجال عمل كل منهما ، فكان مجال الإسبان يبتدئ بحجر بادس و يمتد شرقه أما البرتغال فيمتد غرب حجر بادس [1] .

حيث كان توجه قشتالة نحو الأطلسي بحكم موقعها الجغرافي و كذا دورها في الصراع مع المسلمين كانت تهتم بما يجري في الغرب ، أما اراغوان فكان اهتمامها بالبحر المتوسط بحكم امتلاكها جزر البليار و سيطرتها على صقلية و سردينية و نابولي ، بهدف تأمين طريق بحري و كذا لتحقيق نقاط ارتكاز على سواحل شمال إفريقية [2].

و أول عمل اهتم به الملكان الكاثوليكيان هو تصفية الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية [3] . كما عملا على إجلاء اليهود من إسبانيا فدخلا في العديد من الحروب داخل القارة الأوروبية ، و التي أنشأت إمبراطوراتها الاستعمارية فيما وراء البحار نتيجة للكشوفات الجغرافية مما أدى إلى تدفق على موانئها ثروات مختلفة و امتلاء خزائنها بالذهب و أسواقها بالسلع الثمينة [4].

و رغم تأخر الإسبان عن البرتغاليين في مجال الكشوف الجغرافية بسبب تأخر وحدتهم و كذا انشغالهم بالحروب في القارة الأوروبية التي استنزفت كثيرا من مواردها المادية و البشرية ، إلا أنهم تجاوزوا ذلك و أصبح لهم دورا بارزا في هذا المجال [5] .

---

[1]– جميلة ثابت : **المرجع السابق** ، ص 27 .

[2]– محمد خير فارس : **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي** ، (د.س.ن) ، ص 14.

[3]– رحيمة بيشي : **العلاقات السياسية التونسية الاسبانية في اواخر الدولة الحفصية (882 – 898هـ / 1494 –1574 م)** ، مذكرة شهادة الماجستير ، في تخصص التاريخ الحديث ، اشراف : شكيب بن حفري ، المركز الجامعي غرداية ، 1432 -1433هـ / 2011 – 2012م ، ص 19 .

[4]– زينب اولاد العيد : **جهود خير الدين بربروس في الحوض الغربي للأبيض المتوسط 1518 – 1546 م** ، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث ، اشراف : رحيمة بيشي ، جامعة غرداية ، 1441 – 1442 هـ / 2020 – 2021 م ، ص 11 .

[5]– ستار حامد عبد الله العماري و عباس حسن عبيس الجبوري : **المستعمرات الاسبانية في افريقيا** ، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية و الانسانية / جامعة بابل ، العدد 21 ، حزيران 2015 م ، ص 527.

و في سنة 1474 م تكونت إسبانيا المسيحية الموحدة و التي كانت لها نظرة توسعية عدوانية على مسلمي الأندلس بغرناطة التي حاصروها أكثر من عشر سنوات من طرف الملوك الكاثوليك بمساندة أوروبا المسيحية بالرجال و المال و السلاح ، و هكذا و بعد هذا الحصار استسلمت غرناطة و سقطت سنة 1492 م و ذلك في المكان الذي لا زال يسمى زفرة الأندلسي الأخيرة بإسبانيا[1] .

أما فرنسا فعند بداية العصور الحديثة كانت تحكمها أسرة "**فالو**" حيث تربع على عرش البلاد خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر لويس الحادي عشر (1461 – 1483) الذي يرجع إليه الفضل في تدعيم التاج و تثبيت الحدود الفرنسية عن طريق القوة بتكوين جيش ملكي قوي [2] .

و بعد حكم فرانسوا الأول[3] (1494 – 1547) تابع الحروب الإيطالية ، و كان حليفا لمدينة البندقية ، كما أجبر السويسريين الالتزام بعدم مقاتلة فرنسا و مدها بالجنود مقابل

[1]– نجيب دكاني : **الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية و ردود الفعل الجزائرية خلال القرن (العاشر هجري 10 هـ السادس عشر ميلادي 16 م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، اشراف: ناصر الدين سعيدوني ، جامعة الجزائر ، 2001 – 2002 م ، ص 15 .

[2] – عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار : **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1995م ، ص 123 .

[3] – فرانسوا الأول (1515 – 1547) : هو ابن شارل دوفالوا المعروف باسم شارل دو اورليانو ، و هو كونت انغوليم و حفيد الملك شارل الخامس اعتلى فرانسوا العرش (1515 – 1547) بعد وفاة لويس الثاني عشر الذي لم يكن له وريث . لمزيد من المعلومات ينظر: جول مازران : دليل السياسي الناجح ، تر :حسن خميس ، دار الطلائع للنشر و التوزيع و التصدير ، مصر ، 2006 ، ص 15 .

السلام [1] ، و في زمانه أمر بمنع انتشار المذهب البروتستانتي و بنشر كتبهم ، كما أنه أحرق عددا من المتمسكين بالإيمان الجديد عام 1535 م [2] .

وقد ظهرت في عهد فرانسوا الأول مذاهب دينية جديدة و خاصة اللوثرية و التي شجع انتشارها في بداية الأمر ، ولكن بعد سنة 1528 م أصبح يضطهد البروتستانتية و التي تحولت إلى حركة منظمة ذات عقيدة و برنامج واضحين خاصة بعد رسالة جون كلفن المشهورة عن تعاليم الدين المسيحي [3] .

حيث اهتم بالحروب الإيطالية التي أشغلته عن مقاومة الهيجونوت ، و كذا وقوعه في الأسر مما جعله لا يتحمس لمحاربتهم إلا بعد خروجه من السجن ، وقد أقلقته تطورات الأحداث في ألمانيا لذى سعى لقمعهم حتى لا يتمكنوا من احداث انقسام سياسي ، و شكلت سنة 1535م انتصارا للديبلوماسية الفرنسية بعد توقيع معاهدة الامتيازات مع الدول العثمانية[4].

و في فترة حكم هنري الثاني (1547 – 1559) واصل ما بدأه أبوه فرانسوا الأول من اضطهاد البروتستانت و القضاء عليهم ، و مع ذلك لم يمنع من انتشار مذهبهم الذي لقي إقبال من طرف طبقات الشعب من فلاحين و أصحاب المهن و حتى الأشراف الذين لم يكن هدفهم الإيمان به و لكن بهدف الكفاح ضد التاج و فرصة للاستيلاء على

---

[1] جول مازارن : المرجع السابق ، ص 15 .

[2] – جفري براون : **تاريخ أوروبا الحديث** ، تر: علي المزروقي ، الاهلية للنشر و التوزيع ، الاردن ، 2006 ، ص 208 .

[3] – عمر عبد العزيز عمر : **دراسات في التاريخ الأوروبي و الأمريكي الحديث** ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1992 م ، ص 206 .

[4] – الشيخ لكحل : **نشاط وكالة الباستيون و أثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 17 م / 11 هـ (1604 – 1659م) / (1013 – 1070 هـ)** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، اشراف : ابراهيم سعيود ، جامعة غرداية ، 1433 – 1434 هـ / 2012 2013 م ، ص ص 29 – 30

الكنيسة [1] .

و تعاونت إسبانيا مع فرنسا في اضطهاد البروتستانتية اللوثرية بعدما أحست بقوتها في ألمانيا و هذا ما أدى إلى انقسام داخلي كبير في فرنسا خاصة بعد وفاة هنري الثاني 1559 م . و في عهد فرانسوا الثاني حدث اصطدام بين الأسر الكاثوليكية و الأسر البروتستانتية النبيلة مما أدى إلى معاهدة رجال الإصلاح البروتستانت في فرنسا ، و تسبب هذا النزاع على السلطة بين هذين الأسرتين إلى قيام حرب أهلية دينية في فرنسا [2].

و تواصل الصراع بين الأسر الكاثوليكية و البروتستانتية في فرنسا في عهد فرانسوا الثاني الذي توفي سنة 1560م حيث كانت فترة حكمه قصيرة فخلفه أخوه الأصغر الذي في عهده تدخلت والدته في الحكم بهدف السيطرة على الحكم بالاعتماد على ولاء الأسر المالكة كما أن الصراع بقي قائم بين تلك الأسر. [3]

و قد تعرض الهيجونوت لمذبحة كبيرة من طرف الكاثوليك قصد القضاء عليهم فأطلقوا عليهم النار و ذبحوهم فقد لقي كثيرا منهم مصرعهم ، و أمام هذه المذابح لجأ الهيجونوت إلى الإنتقام و قد هاجموا الكنائس الكاثوليكية و خربوها و قتلوا عددا من رجال الدين الكاثوليك ، وقد اشعلت هذه المذبحة فتيل نار الحرب الوطنية في فرنسا و التي استمرت مدة ثلاثين عاما (1562 – 1593) . [4]

و توالت الحروب بين الكاثوليك و الهيجونوت في فرنسا إلى خلال الفترة الحديثة ، إلى أن اعتلى هنري الرابع العرش .

---

[1] – عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار : **المرجع السابق** ، ص 126 .

[2]– عبد الفتاح أبو علية و إسماعيل ياغي : **تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر** ، ط 3 ، دار المريخ للنشر ، المملكة العربية السعودية ، 1993 م ، ص 167

[3] – عبد الحميد البطريق و عبدالعزيز نوار : **المرجع السابق** ، ص 128

[4] – عبد الحميد البطريق **نفسه** ، ص ص 128 - 129

اعترضت للملك الفرنسي هنري الرابع جملة من الصعوبات عند اعتلائه للعرش (1589-1610م) وهي أنه لقي معارضة من معظم البلاد الكاثوليكية و كذا من الاتحاد الكاثوليكي بزعامة أسرة جيز كونه بروتستانتي و كذا عارضه فيليب ملك إسبانيا الذي كان يطمح في تأسيس أسرة إسبانية تحكم فرنسا . [1]

وقد سلك هنري الرابع طريقا حكيما مع الأشراف الكاثوليك و التف حوله عدد من زعماء الحزب الكاثوليكي ، لذا فقد رفع عنه البابا قرار الحرمان و اعترف به ملكا لفرنسا ، حيث صب اهتمامه بالدرجة الأولى إلى إنهاء الخلاف المسلح بين الكاثوليك و أنصاره القدماء من البروتستانت ، و قد دعا إلى سياسة التسامح ، كما أنه أقدم على مفاوضة تضمن للهيجونوت حرية العبادة ، و في ابريل 1598 م أصدر مرسوم نانت رغبة منه في إنهاء الصراع المذهبي في فرنسا [2] .

والذي ضمن لهم وضعا ممتازا و جعل منهم دولة داخل المملكة الفرنسية و أثناء تلك الحروب الدينية لجأ بعض الدهماء إلى أعمال العنف و القسوة لكنها لم تخلف أثارا سلبية التي تعرقل رخاء المجتمع الفرنسي . [3]

و بعد استقرار الأوضاع السياسية بفرنسا إثر الحروب الدينية التي أرهقت كاهل البلاد ، قام هنري الرابع بعدة إصلاحات في جميع المجالات لاهتمامه بالشؤون الداخلية للبلاد و كذا الشؤون المالية و العمران و غيرها ، حيث أنه تمكن من إنهاء مشكلة الحروب الدينية بفرنسا ، و أثبت حنكته السياسية ، و حكمه المستنير لذا فقد عرف عصره بعصر العظمة [4] .

---

[1] – عبد الفتاح أبو علية و إسماعيل ياغي المرجع السابق ، ص ص 173 – 174

[2] – عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار : **المرجع السابق** ، ص 136

[3] – هربرت فيشر : **أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية** ط 3 دار المعارف ، مصر ، 2001 ، ص 20.

[4] – الشيخ لكحل : **المرجع السابق** ، ص ص 31 – 33.

أما عن أوضاع إيطاليا السياسية فإنها لم تكن موحدة ، بل كانت عبارة عن عدد من الجمهوريات و الإمارات ؛ مما أدى إلى تضارب مصالحها و إلى صراعات بين الولايات البابوية و البندقية ، و الولايات البابوية و فلورانسا و صراعات شاركت فيها ميلان ، بحيث أصبح لكل جمهورية و مدينة من هذه المدن جيش خاص بها و يعمل لصالحها ، حيث لم يكن لإيطاليا جيشا موحدا ، و إنما جيوش متقابلة [1].

وقد شهدت إيطاليا حروب منذ سنة 1494 م بين الولايات التي ظهرت فيها و بعض دول أوروبا الناهضة خاصة فرنسا و إسبانيا لفض المنازعات القائمة بينها حيث فقد الإيطاليين حريتهم و استقلالهم مدة قرون ثلاثة ، حيث بدأت هذه الحروب بالدور الأول حينما استولى شارل الثامن ملك فرنسا على نابلي .[2]

تنافست إسبانيا و فرنسا حول امتلاك شبه الجزيرة الإيطالية و الذي كانت له أهمية في تلك الفترة من خلال سيطرة إحدى هاتين الدولتين على إيطاليا و الذي كانت له أثار اقتصادية و سياسية بعيدة المدى و منها أنها ليست بهدف السيطرة على إيطاليا فحسب بل لتحقيق تفوق سياسي للدول المسيطرة ، و لهذا تابعت الدول الأوروبية هذا الصراع القائم في إيطاليا رغبة منها في الحفاظ على مصالحها داخل القارة [3].

مرت هذه الحرب القائمة في إيطاليا بعدة أدوار و منها اشتراك فرنسا و إسبانيا في احتلال ميلان و جنوة و نابلي ، لكن حدث بينهما خلاف فاحتدم الأمر بينهما و تطور إلى حرب سنة 1502 ، فهزمت فرنسا فاضطرت لعقد معاهدات بلوا التي منحت فرنسا ميلان و

[1] – عبد العزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال : **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى** ، دار الفكر العربي، مصر ، 1419هـ – 1999م ، ص 85.

[2] – الموسوعة العربية الميسرة ، المرجع السابق ، ص1345.

[3] – عبد العزيز نوار و محمود محمد جمال : **المرجع السابق** ، ص 85 .

جنوة و رهنت نابلي لإسبانيا ، وفي سنة 1509 ألف البابا يوليوس العصبة المقدسة ليطرد الفرنسيين من إيطاليا و طرد السويسريين الفرنسيين من لمبارديا حيث انتصرت فرنسا على سويسرا في معركة مارنيانو 1515 و تم عقد صلح نويون 1516 و الذي أعاد ميلان إلى فرنسا . [1]

و قد شملت الحروب الإيطالية الصراع مع العثمانيين في تلك الفترة خاصة بعد قيام السلطان سليمان بإعداد جيش و نقله إلى إيطاليا بالتعاون مع بربروسه ، و كذا قيامه بسلسلة من الغارات على أملاك الهابسبورج في غربي المتوسط ، لذا توسط البابا بين فرنسا و النمسا لعقد صلح بهدف توحيد أوروبا ضد العثمانيين ، و كذا قيام فرانسوا بعقد الصلح مع شارل امبراطور الهابسبورج في النمسا و وعده بالاشتراك في الحملة الصليبية ضد العثمانيين ، مما أغضب خير الدين و الذي بدوره استولى على معظم جزر بحر إيجة مما أدى إلى تشكيل حلف صليبي بقيادة دوريا ، وكانت نتيجته هزيمة خير الدين في بريفيزا القاعدة البحرية العثمانية في ألبانيا [2] .

و بالنسبة لمالطا فهي عبارة عن جزيرة أوروبية تقع في شمال البحر المتوسط ، و هناك من ألحقها بجزر إيطاليا ، و هناك من ألحقها بأفريقية ، و كانت مقسمة إلى شطرين شطر يمتد من جهة الشرق و الآخر من جهة الغرب و قد بنى فاليتة أحد أمراء الافرنج و سماها باسمه ، و يذكر مؤلف فرنسي أن قاعدة هذه الجزيرة سميت لافاليت نسبة لرئيس فرسان

[1] – الموسوعة العربية : **المرجع السابق** ، ص 1345.

[2] – إسماعيل ياغي : **المرجع السابق** ، ص ص 69 – 70.

مالطا ، الذي قام بمحاصرة المسلمين و استولى على صانت إيلمو حتى قوي عليهم و أخرجهم منها [1].

و من المعروف أن إسبانيا تنازلت لفرسان مالطا عن حكم طرابلس الغرب سنة 1530 م . بعدما استلم مندوبو المرشد الأكبر لهذه المنظمة للسيطرة على مالطا ، و قد توجهت أنظارهم إلى طرابلس الغرب ،حيث أرسلوا قافلة من الفرسان و الجنود بقيادة غاسباري دي سانغوسا الذي عين حاكم عليها ،و سرعان ما وصلت سفنهم إلى طرابلس فباشروا بإنزال عدتهم و عتادهم بغية التحكم فيها و السيطرة عليها [2] .

و كما قام الأتراك بقصف مالطة في كل سنة تقريبا إلا أنهم لم يتمكنوا من زحزحة الفرسان منها ، و قد راجع طرغود باشا الديوان مرات عديدة لفتح مالطة و إخراج الفرسان منها الذين سفكوا دماء كثير من المسلمين هناك ، و انتسب لفرسان مالطا أحد الفرنسيين سنة 1515م الذي أوقف حياته لمقاتلة طرغود باشا [3] . و قام لافاليت بتجهيز الجزيرة بتحصينات تفوق تحصينات رودس بإقامة سدود و أنفاق ، من أجل مقاومة العثمانيين [4].

و يمكن القول أن فرسان مالطا أخذتهم الروح الانتقامية من الأتراك العثمانيين لذا وطدوا نفوذهم في طرابلس الغرب ليتمكنوا من مهاجمة العثمانيين بما أنهم أصبحوا قريبين منهم ، و

---

[1] – أحمد فارس الشدياق: **الواسطة في معرفة أحوال مالطة** ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، مصر ، 2012 م ، ص 09 .

[2] – إتوري روسي : **ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911** ، تر: خليفة مُحَمَّد التليسي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا، 1394هـ / 1974م ، ص 193 .

[3]– يلماز أوزتونا :**موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي و العسكري و الحضاري 629 –1341هـ /1231 – 1922م** ، تر: عدنان محمود سلمان و محمود الانصاري ، المجلد الأول ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، 1431هـ / 2010م ، ص 319 .

[4] – يلماز أوزوتونا : **نفسه** ، ص 320 .

لضمان نجاحهم أكثر وحدوا جهودهم مع إسبانيا . حيث ضم الفرسان قوتهم إلى جانب قوات شارل الخامس في حملته على تونس سنة 1535م [1].

و هكذا كان هم فرسان مالطا الشاغل القضاء على الأتراك بصفة عامة و المسلمين بصفة خاصة ، و حظوا بفرصة مناسبة في ذلك عند تنازل شارل الخامس عن طرابلس لهم مما مكنهم بالهجوم على الأتراك العثمانيين و شن غارات على إيالاتها و محاولة الاستلاء عليها و انتزاعها من يد العثمانيين ، و منذ ذلك الوقت الذي تحالفوا فيه مع إسبانيا ما زادهم قوة و دفعة في ذلك .

أما إنجلترا فيبدأ تاريخها منذ فتح النورمانديون [2] بلادهم عام 1066 م بقيادة وليم دوق نورماندیا حيث استوطنوا البلاد و تناسلوا مع الإنجليز ، و من امتزاجهم نشأ الشعب الإنجليزي الحديث تحت حكم ملوك أقوياء لم يقتصر حكمهم على إنجلترا فقط بل أصبحت نورماندیا تابعة للتاج الإنجليزي ، و اتسعت أملاك الإنجليز في فرنسا و أدى ذلك إلى ما يعرف " بحرب المائة سنة " [3] بينهما [4]

---

[1]– شارل فيرو: **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي** ، ط3 ، تر: مُحَمَّد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1994م ، ص 87 .

[2] – **النورمانديون** : بعد ان غزا الشماليون نورماندى في القرن 10م قبلوا المسيحية و العادات و اللغة الفرنسية . و بعد الفتح النورماني لإنجلترا جعل دوق نورماندى ملكا على انجلترا باسم وليم الفاتح و اطاح النبلاء النورمان بنبلاء انجلترا الانجلوسكسون . **ينظر** : الموسوعة العربية الميسرة : **المرجع السابق** ، ص 3432 .

[3] – حرب المائة سنة هي حرب جرت بين فرنسا و انجلترا (1337 – 1453) كان السبب الرئيس للحرب هو ان ملوك إنجلترا الموصوفون بدوقات مقاطعات جويين الفرنسية أتباعا لملوك فرنسا عارضوا سياسة العرش الفرنسي في جنوحها إلى تركيز السلطة في يده و أبدى الإنجليز تذمرهم من تقديم ولائهم لفرنسا و خضوعهم لصاحب التاج الفرنسي **ينظر** : الموسوعة العربية الميسرة : **المرجع نفسه** ، ص 1337 .

[4] – عبد العزيز سليمان نوار و محمود مُحَمَّد جمال الدين ، **المرجع السابق** ، ص 185 .

و بعد ظهور أسرة التيودور التي توج منها هنري تيودور (1485 – 1509م) ملكا لإنجلترا و تمكنت هذه الأسرة من حكم إنجلترا بعد ضعف سلطة الأشراف الإنجليز نتيجة الحروب الاهلية أو (حرب الوردتين)[1] فكان ملوكها أصحاب الكلمة النافذة في سياسة البلاد الداخلية و الخارجية [2] .

و قبل انتهاء القرن 15م دخلت إنجلترا مجال التجارة كدولة تتمتع بالنفوذ الغالب على الجزر البريطانية الأخرى و ارتباطها الوثيق بالقارة الأوروبية، الأمر الذي فتح لها آفاق واسعة في هذا المجال و فيما وراء البحار [3] .

و بعد ذلك الوقت أصبح الإنجليز يدفعون تجارتهم إلى البحر المتوسط ما أدى بهم إلى احتكاك مباشر بإيطاليا ، و قد وجهوا تجارتهم إلى شرق المتوسط وصولا إلى المشرق العربي [4].

و في أوائل القرن 16م بداية من سنة 1513 بدأ الإنجليز في التعرف على العثمانيين حيث دفع بعضهم الفضول للسياحة في ممتلكاتهم و البعض الآخر جذبته روح المغامرة فقد شاركوا مع شارلكان في حملته ضد الجزائر سنة 1541 م [5] .

---

[1] – حرب الوردتين : اندلعت هذه الحرب بعد عامين من طرد الانجليز من فرنسا في عام 1453م . حيث تخلت انجلترا عن محاولتها الفاشلة في احتلال فرنسا و تمكنت من ايجاد طريق لبسط نفوذها على الجزر البريطانية و التوسع في تجارتها و صناعتها و تأسيس المستعمرات فيما وراء البحار ، و قد نشب الصراع بين اسرتي يورك و لانكستر **للمزيد ينظر:** هربرت فيشر : **أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الاوروبية إلى الثورة الفرنسية** ،ط3 ،تر : زينب راشد عصمت و أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، مصر ،(د.س.ن)، ص 63 .

[2] – عمر عبد العزيز عمر : **المرجع السابق** ، ص 76 .

[3] – هربرت فيشر : **المرجع السابق** ، ص 69 .

[4] – إدريس الناصر رائسي : **المرجع السابق** ، ص 154 .

[5] – إدريس الناصر : **العلاقات العثمانية– الأوروبية في القرن السادس عشر** ،دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع ، لبنان ، 1428 – 2007 م ، ص 155 .

و يمكن أن نستنتج أن الإنجليز في هذا التاريخ بدأوا الاحتكاك و التواصل مع العثمانيين خاصة في مجال التجارة من خلال كسبها كصديقة لصالحهم ما جعلهم يطلبون عقد اتفاقيات و معاهدات معها للحصول على بعض الامتيازات مثل فرنسا ، و من هنا بدأت تنشأ علاقات بين الطرفين ، و هذا ما سنراه في الفصل الموالي (الفصل الثاني) .

و هكذا توالت الحروب بين الدول الأوروبية و تكالبت على الجزيرة الإيطالية للسيطرة عليها و لتحقق تفوق سياسي بسبب تدهور أوضاعها و تفككها مما جعلها محط أنظار بقية الدول الأوروبية .

المبحث الثالث : الأوضاع السياسية لإيالات المغرب العثمانية خلال القرن (10هـ / 16م)

بعد سقوط دولة الموحدين و التي مثلت قوة إسلامية ، الذي نتج عنه انقسام سياسي، فظهرت على أنقاضها دويلات و هي الدولة الزيانية و الحفصية و المرينية . حيث تنازعت هذه الدويلات فيما بينها فالمرينيون في المغرب و الزيانيون في تلمسان و الحفصيون في تونس طوال ثلاث قرون (12 م – 15 م) و قد أضعفت هذه النزاعات الكيانات السياسية [1] و قد تجسد هذا النزاع و التطاحن الإقليمي في رغبة كل دولة السيطرة على المغرب الإسلامي بأكمله مما أدى إلى الاصطدام ببعضها البعض و كانت هذه الحروب استنزافا واضحا لثروات البلاد . [2]

[1] – عبد الله مقلاتي : **المرجع في تاريخ المغرب الحديث و المعاصر (الجزائر ، تونس ، المغرب ، ليبيا)** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2013 م ، ص 09 .

[2] – عائشة غطاس : **الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر 1954 م ، 2007 م ، ص 11.

كما سعى بنو مرين للسيطرة على المغرب الكبير لكنهم اصطدموا بالحفصيين الذين اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين للموحدين ،كما عانى المغرب الأوسط بحكم موقعه الوسطي فكان يصطدم تارة بالمرينيين و تارة بالحفصيين مما جعل الحدود لا تعرف استقرار وتكون بين مد و جزر .[1]

حيث نتج عن تراجع السلطة المركزية تفكك سياسي و قد استقلت عن تونس كل من طرابلس و قسنطينة وبجاية و استقلت عن تلمسان وهران و جزائر بني مزغنة و استقلت عن فاس مراكش و مناطق الجنوب ، و قد كانت أوضاع المغرب الإسلامي متدهورة من الجانب السياسي والحضاري خلال القرن 16 م الأمر الذي كان مشجعا للإسبان للتحرش بسواحلها و التخطيط لاحتلالها .[2]

و هذا من خلال ما كتبه فرناندو دي زافرا المكلف بحماية شواطئ إسبانيا و بمراقبة حركة الأندلسيين المتوجهين إلى بلاد المغرب : "إن بلاد المغرب تجتاز حالة انهيار نفسي يظهر أن الله قد أراد منحها لصاحبي الجلالة "[3] .

شهد المغرب العربي أواخر القرن (9 هـ / 15 م) و بداية القرن (10 هـ / 16م) أوضاع متدهورة بسبب التفكك السياسي الناتج عن صراع الدويلات على إرث دولة الموحدين ما جعلها محط أطماع الدول الأوروبية .

ففي مطلع القرن (10 هـ/ 16م) كانت الجزائر عبارة عن وحدات سياسية يختلف نمط الحكم فيها من وحدة إلى أخرى ، بالإضافة إلى أن مدنها الساحلية تعرضت للاحتلال

[1] – عائشة غطاس نفسه ، ص 11

[2] – عبد الله مقلاتي : **المرجع السابق** ، ص10.

[3] – عائشة غطاس : **المرجع السابق** ، ص 12.

الإسباني بداية من المرسى الكبير سنة (911هـ / 1505 م)، يليه وهران سنة (916 هـ / 1509 م) و من خلال هذه الأوضاع المتدهورة كانت الجزائر بحاجة لقوة تخلصها من الغزو الإسباني فارتأت أن الإخوة باربروس الذين أنقذوا مسلمي الأندلس الفارين من بطش الإسبان بعد سقوط غرناطة كما أنهم قدموا إلى الجزائر الحل الأنسب لها [1] .

بعد استجابة عروج لطلب الجزائريين و استقراره بمدينة الجزائر بمبايعة أهلها له أميرا على الجهاد حيث ألقى الروع في قلب الاستعمار الصليبي الإسباني [2] . و قد حرر جيجل سنة (919 هـ/ 1514م) و اتخذوها قاعدة لعملياتهم ، و بعد دخولهم لمدينة الجزائر سنة 1516 حرروا مدن تنس و دلس سنة (923هـ / 1517م)، كما تمكن عروج من القضاء على ملك بني زيان سنة 1517 [3].

و بعد وفاة عروج تسلم خير الدين السلطة من بعده و طلب من السلطان العثماني سليم الأول الانضواء تحت حكمه بمبادرة اشترك فيها أهل الجزائر و كرد على التدخل الإسباني ، و بعد استتباب الوضع و توحيد الجزائر أصبحت تحكم كدولة كبرى شأنها شأن أي دولة أخرى[4]

و بذلك التحقت الجزائر بالدولة العثمانية و دخلت تحت لوائها سنة 1518م ، أما سنة 1519 م التاريخ الرسمي للانضمام وبعد هذا التاريخ أصبحت الجزائر إيالة عثمانية . وقد

[1] – جميلة ثابت : **المرجع السابق** ، ص 13.

[2] – أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 – 1792 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، (د. س. ن) ، ص 179 .

[3] – لكحل الشيخ : **المرجع السابق** ، ص 26 .

[4] – مؤيد محمود حمد المشهداني و سلوان رشيد رمضان : **أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1518 – 1830** ، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية ، المجلد 5 ، العدد 16 ، نيسان 2013 م ، ص 413 .

اتصف نظام الحكم الذي عرفته البلاد الجزائرية بتعاقب عدة أنظمة سياسية عبر فترات تاريخية محددة أولها فترة حكم البايلربايات (1518 – 1588م) الذي كان الحكم فيها مستقر بفضل جهود الأخوين بربروسة و انتهت بتنحية علج علي مقاليد السلطة ، لتأتي فترة الباشوات (1588- 1659) التي حددت مدة حكم كل واحد منهم بثلاث سنوات ، ثم فترة حكم الآغوات (1659 – 1671) القصيرة التي عرفت فيها الجزائر اضطراب في نظام الحكم و فوضى في شؤون الإدارة ، أما الرابعة و الأخيرة ، فهي فترة حكم الدايات الطويلة التي استمرت دون انقطاع من (1671 – 1830) و عرفت فيها الجزائر مقومات السياسة و تمتعت بالاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية [1] .

أما الجهاز الإداري للجزائر في العهد العثماني عرف تطورا كبيرا حيث استكمل تنظيماته، و من بين الأجهزة التي ظهرت مع هذا النظام هي:

الديوان و الذي يضم نوعين الديوان الخاص و الديوان العام فالديوان الصغير (الخاص) يضم كبار الانكشارية و عدد من الموظفين الكبار و يرأسه الباشا، أما الديوان الكبير (العام) فهو مجلس واسع يضم أفراد الجيش ، و البقية هم من أعضاء الحكومة و ضباط البحرية و العلماء و الأعيان و نقيب الأشراف و شواش الداي [2] .

[1] – ناصر الدين سعيدوني: **الجزائر في التاريخ العهد العثماني** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984 م ،ص 14.

[2] – جميلة ثابت: **المرجع السابق** ، ص 24

أما الخزناجي فهو المختص بالإشراف على الخزينة الذي يباشر أعماله المالية بحضور الداي و أعضاء الديوان بينما بيت المالجي الموظف المشرف على مصلحة الثروات التي تؤول للدولة [1]

و خوجة الخيل هو الوزير الثالث حيث يشرف على مداخيل الأراضي التابعة للسلطة أو أراضي البايليك ، أما وكيل الحرج أو وزير البحرية فهو المشرف على كل ما يتصل بشؤون البحرية و الغزو البحري[2] .

أما إداريا فحكمت الجزائر بجهاز إداري مركزي حيث كانت السلطة العليا بيد الحكام الأتراك في مدينة الجزائر ، و هيمنوا على السلطة بواسطة مؤسسة الديوان الذي يعد بمثابة مجلس حكومة [3] .

حيث قسمت الإدارة الجزائرية في العهد العثماني إلى أربع بايليكات و تشمل:

الجزائر : و كانت تسمى دار السلطان ، و تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ، و ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا، أما بايليك الشرق عاصمتها قسنطينة التي حكم الأتراك أغلب نواحيها الجبلية و الصحراوية عن طريق الرؤساء المحليين ، و كذا بايليك الغرب الذي تغيرت عاصمته أكثر من مرة إذ تأسس سنة 1567 ثم نقلت عاصمته من مازونة إلى معسكر سنة 1710م ،ثم أصبحت وهران عاصمته بعد تحريرها من يد الإسبان سنة 1792م [4] .

---

[1] – حنيفي هلايلي : **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ،دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 1429 هـ / 2008 م ، ص 141.

[2] – عائشة غطاس : **المرجع السابق** ، ص 119

[3] – عبد الله مقلاتي : **المرجع السابق** ، ص 30 .

[4] – حنيفي هلايلي : **المرجع السابق** ، ص 146

تميز بايليك التيطري بأنه أصغر البايليكات و أفقرها تأسس سنة 1548م في عهد حسن بن خير الدين ، و عاصمته المدية ،و كان الأكثر ارتباطا بالسلطة المركزية [1] .

و يمكن القول أن الجزائر كانت عبارة عن دويلة فيها إمارات متنازعة هذا الوضع المتدهور الذي عاشته جعلها محط الأنظار الخارجية فاحتل الإسبان المراكز الأساسية فيها ،فاستنجدت بالأخوين عروج و خير الدين لتخليصها من وطأة الإسبان . فبعدما انضوت تحت لواء الدولة العثمانية توحدت و أصبحت دولة لها كيان سياسي وقوة عسكرية.

فبعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية سنة 1519 رسميا ، تلتها طرابلس الغرب التي أصبحت إيالة عثمانية بعد إيالة الجزائر ، و كونها جزء من بلاد المغرب الإسلامي إذا لابد من التحدث عن أوضاعها و هذا حسب التسلسل الزمني .

شهدت طرابلس الغرب خلال الفترة الحديثة أوضاع متردية كما هو الحال في باقي دول المغرب الإسلامي نتيجة سقوط الدولة الموحدية ، حيث كان هناك تناحر و نزاع على ورث دولة الموحدين و كذا صراع الدويلات فيما بينها و حتى داخل الدويلة الواحدة ، مما جعلها محط أطماع الدول الأوروبية و بالأخص إسبانيا .

ففي القرن 15 م برزت إسبانيا كقوة صليبية كبرى خاصة بعد انتصارها على المسلمين بإسقاطها لآخر معقل لهم بالأندلس غرناطة سنة 1492 و اتحادها مع مملكة اراغون من

[1] – جميلة ثابت : **المرجع السابق** ، ص25 .

خلال زواج فردناند بإيزابيلا المعروف بالزواج المقدس بهدف ملاحقة المسلمين و الانتقام منهم والسيطرة على مناطق الشمال الإفريقي لجعلها مناطق نفوذ لها [1] .

في مطلع القرن 16 م قام الإسبان بتنظيم حملة على طرابلس بعد وصول أسطولهم إلى مرسى طرابلس فقاموا بإنزال قواتهم و إطلاق المدافع من جهة الساحل و القوادس قصفت المدينة حيث راح سكان طرابلس بالدفاع عن بلادهم و أظهروا بسالتهم ، إلا أن قوة العدو تفوق قوتهم و إمكانياتهم لذا انسحب شيخهم عبد الله عامل المدينة ، و بذلك استسلم الطرابلسيين ، و استولى الإسبان على طرابلس سنة 1510 م [2].

و قد ألحقوا طرابلس بمدينة صقلية و أخضعت مباشرة لحكومة نائب الملك حيث تم تعيين قائدا جديد عليها ، كما أن الإسبان تباهوا باحتلال طرابلس باعتباره نصرا للمسيحية ، كما أنهم لم يغفلوا مجال الاحتكارات التجارية و تضمينها لصالحهم [3] .

و بهذا قد استفاد الإسبان من احتلالهم طرابلس لموقعها الجغرافي الاستراتيجي من ربح في المجال التجاري باستغلالهم و سيطرتهم على الطرق التجارية و الضرائب التي فرضوها على السلع و البضائع.

و بعد تنازل الإسبان لفرسان مالطا [1] عن طرابلس الذين استبدوا بحكمها و أرهقوا كاهل السكان بالضرائب [2] .

---

[1] – محمود علي عامر و مُحَمَّد خير فارس : **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الاقصى – ليبية)** ، جامعة دمشق ، دمشق ، (د س ن) ، ص 148

[2] – شارل فيرو : **المرجع السابق** ، ص ص 76 – 77.

[3] – إتوري روسي : **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911** ، **المرجع السابق** ، ص ص 181 – 182.

الذين استقروا في رودس وكانوا يقومون بعرقلة لحركة الأسطول العثماني في بحر الأرخبيل ، و لم تكن لهم قوة لمواجهة الأسطول العثماني لذا لجأوا للقرصنة و كانوا يهاجمون السفن و يفتكون بها ، وهذه الأعمال أقلقت السلاطين العثمانيين [3] .

و قد استنجد أهالي طرابلس بالدولة العثمانية ، كما ذكر ابن غلبون : بأن جماعة من أهل تاجوراء توجهوا إلى القسطنطينية للسلطان سليمان الأول عارضين عليه حال بلادهم باستيلاء الإسبان عليها ثم فرسان مالطا ، طالبين منه إعانتهم و تخليصهم من سيطرة النصارى و كذا واليا يحكمهم [4] .

فاستجاب السلطان سليمان لطلبهم و وعدهم بتحرير بلادهم من المسيحيين و كلف السلطان مراد آغا بالتوجه إلى طرابلس ممثلا للسلطان و قائدا للقوات الانكشارية المكلفة بمهمة طرد المسيحيين من تلك الديار[5] .

وقد جهز العثمانيون حملة على طرابلس بقيادة سنان باشا و مساندة درغوث باشا و صالح ريس ، فحاصروا المدينة و طلبوا من حاكمها تسليم المدينة لكنه رفض الاستسلام ، حيث

---

[1] – كانت عبارة عن هيئة دينية تتولى رعاية احد الملاجئ في القدس و مساعدة المعوزين خاصة الحجاج القاصدين الاراضي المسيحية المقدسة عند المسيحيين و قد تحولت الهيئة في زمن الحروب الصليبية الى منظمة دينية فرسانية وضعت تحت حماية القديس (يوحنا باتيسيا) و اطلق على اعضائها اسم اسبتارية نسبة لاعمال الاستشفاء التي يقدمونها كما عرفوا باليوحانيين لمزيد من المعلومات **ينظر** : اتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911** ، **المرجع السابق** ، ص 189 .

[2] – عبد الله مقلاتي: **المرجع السابق** ، ص 50 .

[3] – عمر مُحَمَّد الباروني : **الإسبان و فرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب** ،(د د ن) ، طرابلس ، 1952م ، ص 76.

[4] – ابن غلبون : **التذكار فيمن ملك طرابلس و ما كان بها من الاخبار** ، تعليق : الطاهر احمد الزاوي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1349 هـ ، ص 93.

[5] – محمود علي عامر و خير فارس : **المرجع السابق** ، ص ص 156 - 157.

بدأ المحاصرين في إطلاق مدفعياتهم و التي كانت ترد عليها مدفعية العدو ، و استمر القصف من طرف المدافع التركية إلى أن استسلم فرسان مالطا سنة 1551 و فتحوا أبواب المدينة فدخلها الأتراك و من ذلك الوقت أصبحت إيالة عثمانية [1] .

و قد مر الحكم العثماني بأربع مراحل في طرابلس الغرب

مرحلة البايلربايات(155 – 1606) و في هذه المرحلة حكم فيها حكام أقوياء كمراد آغا الذي نظم البلاد إداريا و عسكريا و قسمها إلى متصرفتين طرابلس الغرب و بنغازي ،و يليه درغوث باشا ، ثم عصر الدايات(1610 – 1672) و الذي تميز بحكم الانكشارية و الصراع على السلطة . أما عهد الأسرة القرمانلية (1711 – 1835) إثر تدهور الأوضاع بطرابلس تمكنت هذه الأسرة من الوصول إلى الحكم بزعامة مؤسسها أحمد باشا ، الذي جاء كبحار صغير ثم امتلك بعض المزارع في منطقة المنشية المجاورة لطرابلس الغرب و مع مرور الوقت استطاع ان يضع لنفسه مكانة و نفوذ مع الأسر القوية في الإقليم و هذا راجع لجهوده المبذولة ، وكذا بسبب مصهراته و قد واصل أبنائه و أحفاده جهودهم لتقوية نفوذ الأسرة [2] .

و من خلال تلك الأحداث نلاحظ أن هذه الفترة تمتاز بتنوع الأحداث و تطورها سواء على مسار الدولة العثمانية أو دول غرب أوروبا ، و التي أثرت كذلك على الأوضاع العامة لبلاد المغرب العربي .

و بالنسبة لتونس و من المعروف أنها كانت تحت حكم الدولة الحفصية خلال الفترة الحديثة .

[1] – إتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م** ، المر جع السابق ، ص ص 209 – 210 .

[2] – عبد الله مقلاتي : **المرجع السابق** ، ص ص 50 – 55 .

بعد وفاة السلطان مولاي مُحَّد بن الحسن الحفصي1525 م حيث تنازع أبنائه على السلطة فأخذها الابن الأصغر مولاي الحسن رغم أحقية غيره من إخوته بالحكم ، فقتل إخوانه لإبعادهم من مجال منافسته على العرش فأخوه الرشيد فر هاربا يطلب العون من خير الدين باربروس بهدف انتزاع السلطة من أخيه الحسن ، فاغتنم خير الدين فرصة الدخول لتونس فجهز حملة عليها سنة 1534م [1] .

و في منتصف القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي (10 هـ / 16 م) طال الضعف والاضطراب الأسرة الحفصية مما جعلها ترتمي في أحضان الإسبان و توقيع معاهدة معهم و التي خولت لهم امتيازات ضخمة و منها السماح لهم بالسكن في جميع أنحاء القطر التونسي ، و التنازل لهم عن بعض المدن ك عنابة و بنزرت و حلق الوادي ، مما أدى إلى ثورة وطنية انتهت بتولية السلطان الحفصي أبي العباس الثاني (942 – 980 هـ / 1535 – 1572 م) و الذي لم يستطع تولي زمام الأمور كما أنه لم يتمكن من الوقوف في وجه الإسبان و التصدي لهم [2] .

قام علج علي بتوجيه حملة ثانية إلى تونس بعدما اتصل به أحد وزراء السلطان الحفصي أبي العباس بسبب الخلاف الذي اشتد بينهما فتوجه علج علي صوب المدينة و حاصرها فاستحوذ عليها سنة 1569 ، و نصب أحد قواده و أخذ البيعة من السلطان العثماني سليم الثاني ، في الوقت الذي لجأ فيه السلطان الحفصي للإسبان مستنجدا بهم حيث جهز

[1] – الفونص روسو : **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر** ، تح : مُحَّد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، (د س ن) ، ص 83.

[2] – شوقي عطا الله الجمل : **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)** ، مكتبة الانجلو المصرية للطبع و النشر ، القاهرة ، 1977 ، ص 107 .

فيليب الثاني قوة كبيرة لمواجهة تونس شريطة اقتسام معه حكم البلاد لكنه رفض غير أن أخاه مُحَمَّد بن الحسن قبل شروط الإسبان بهدف استرجاع تونس[1] .

و أصبحت السواحل مسرحا للصراع الإسباني التركي الذي شهد تقلبات عديدة و كان الأتراك يقودون المعارك بالتعاون مع الرياس كدرغوث رايس الذي استطاع الانتصار على المسيحيين و منه الاستقرار في طرابلس [2] .

و في عام 1569 دخلت الجيوش العثمانية التركية بقيادة علج علي تونس وطرد منها السلطان الحفصي لكن الإسبان اغتنموا ضعف الأسطول العثماني لهزيمته في معركة ليبانت 1571 و استولوا على تونس من جديد بقيادة ملك إسبانيا دان جوان النمساوي [3] .

وفي ربيع الأول (981 هـ / 1573 م) خرجت قوة عثمانية كبيرة من القسطنطينية على رأسها سنان باشا إضافة إلى قوة بحرية بقيادة علج علي و خرجت حاميات تركية من طرابلس الغرب و الجزائر و القيروان ، و حاصر العثمانيون حلق الوادي برا و بحرا فاضطر الإسبان و الأمير الحفصي الموالي لهم إلى الهرب و الالتجاء للحصون فلحق بهم الجيش العثماني وقبضوا عليهم وأرسلوا الأمير الحفصي إلى القسطنطينية و سلم الإسبان المدينة للعثمانيين و بذلك طويت صفحة الحفصيين في تونس الذين حكموا البلاد ما يقرب 350 عاما [4] . و بعد كل هذه الأحداث أصبحت تونس إيالة عثمانية 1574 م .

---

[1] – شوقي عطا الله الجمل : **المرجع السابق** ، ص ص 107 – 108.

[2] – مُحَمَّد الهادي الشريف : **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال** ، ط 3 ، تعريب : مُحَمَّد الشاوش و مُحَمَّد عجينة ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993م، ص 65.

[3] – مُحَمَّد الهادي الشريف : **المرجع السابق** ، ص 66.

[4] – شوقي الجمل: **المرجع السابق** ، ص 108.

مر الوجود العثماني بتونس بعدة مراحل من حيث أشكال تنظيمه و تفاعله مع المجتمع المحلي، و هي:

سلطة الباشوات 1574 يمثل تاريخ ضم البلاد التونسية إلى الإمبراطورية العثمانية فأصبحت بذلك إيالة عثمانية يحكمها باشا موفدا من مركز الخلافة لمدة ثلاث سنوات ، أما عن نظام الدايات الذي شهد ظروف متأزمة ، ففي 1591 م ظهرت بوادر أزمة مالية اقتصادية مما أدى بالجند إلى القيام بانقلاب [1] .

عهد الأسرة المرادية (1640 – 1702 م) حكمها دايات بتقسيمها إلى بيليكات على رأس كل بايليك باي و منحت لهم سلطات واسعة ، كما أصبح الحكم وراثيا ، بينما عهد الأسرة الحسينية (1705 – 1881م) نسبة لحسين بن علي حيث اقترح دايا لما كان يتمتع به من خبرة إدارية و سياسية [2] .

و يمكن القول أن تونس تأخرت في الانضمام للدولة العثمانية على عكس نظيرتاها الجزائر و طرابلس الغرب ، و يمكن إرجاع هذا لعدم رغبة التونسيون في الحكم العثماني ، كما أنهم أرادوا الحكم المحلي أي الدولة الحفصية من بني جنسهم ، أما العثمانيين فرأوا أنهم خارجيين و دخلاء عليهم رغم اتباعهم للدين الإسلامي .

[1] – دلندة الأرقش : **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر** ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2003 م ، ص ص 55 – 57.

[2] – عبد مقلاتي : **المرجع السابق** ، ص ص 46 – 47.

خلاصة الفصل:

و مما سبق يمكن القول أن حوض المتوسط خلال القرن (10 هـ / 16 م) عرف أحداث كثيرة ما جعلته مسرحا لها و قد أثرت على أوضاعها العامة و خاصة السياسية.

_ شهدت أوروبا أوضاع غير مستقرة بسبب الحروب الدائرة بينهم كالحروب الدينية بين الكاثوليك و البروتستانت بين فرنسا و إيطاليا.

_ تدهور أوضاع المغرب العربي و تفككه سياسيا بسبب الصراع المحتدم بين دويلاته على إرث الموحدين ، ما جعله عرضة لأطماع الدول الأجنبية و الانهيال عليه بالحملات و الحصارات .

_ ظهور الدولة العثمانية كقوة إسلامية ناشئة لحماية المسلمين في بلاد المغرب و الأندلس

_ تخوف الدول الأوروبية من تدخل السلطنة العثمانية في المناطق التي وضعوا عليها أيديهم، و تخوفهم كذلك من حمايتها لبلاد المغرب العربي الأمر الذي يمس في مصالحهم و نفوذهم

ما فتح المجال لحدوث صراع و تنافس بين القوة العثمانية و القوى الأوروبية في مجال التوسع و النفوذ ، مما يجعلنا نحدد طبيعة العلاقات بينهم .

الفصل الثاني : علاقات الدولة العثمانية بدول أوروبا الغربية و أثرها على إيالات المغرب العثمانية خلال النصف الثاني من القرن 16 م / 10 هـ من خلال الوثائق العثمانية

المبحث الأول : علاقات الدولة العثمانية بفرنسا و أثرها على إيالات المغرب العثمانية خلال النصف الثاني من القرن (10هـ / 16م)

المبحث الثاني : علاقة الدولة العثمانية بإنجلترا خلال النصف الثاني من القرن (10هـ / 16م)

تمهيد :

في أوائل القرن 16م مثلت إسبانيا قوة كبيرة في الحوض الغربي للمتوسط ، ما جعلها تستولي على بعض الأوروبية كفرنسا مثلا ، و لم تكتف بهذا فقد فراحت تشن هجماتها على بلاد المغرب العربي و خاصة الساحلية منه ، فرأت الدولة العثمانية من واجبها التدخل في الأمر ، حيث سعت مرات عديدة لتحرير المناطق الإسلامية من نجس الإسبان المسيحيين .

فكان النصر غالبا يحالف الدولة العثمانية على إسبانيا ، ما جعل اصدائه تنتشر في مختلف ربوع العالم ، الأمر الذي دفع فرنسا في طلب العون و المساندة من الدولة العثمانية و خاصة أن لهما عدو مشترك (إسبانيا) ، و بسبب أوضاعها المتردية نتيجة حروبها المتكررة مع إسبانيا رأت الحل الأنسب في مسالمة الدولة العثمانية و التحالف معها و كسب صداقتها لمواجهة أعدائها داخل القارة و لتثبيت نفوذها داخل السلطنة العلية ، و لتحيط نفسها بقوة تكون سندا لها من هجمات أعدائها .

المبحث الأول: العلاقات العثمانية الفرنسية:

في مستهل القرن 16م شهدت أوروبا أوضاع متدهورة و فرنسا من تقهقر أوضاعها و تشرذمها و كذا من اضطهاد إسبانيا لها و استيلائها على أراضيها ، فما إن سمعت بقوة الدولة العثمانية و انتصاراتها المتواصلة طلبت منها العون و سعت في كسبها إلى جانبها ، لتقوي ضعفها و لتلم شتات ما خلفته حروبها مع إسبانيا ، فرأت فرصة ذهبية في صداقة الدولة العثمانية .

و من خلال مجريات الأحداث هذه التي تمكننا من معرفة طبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية و فرنسا ، و هذا ما سأتطرق له في هذا المبحث .

أولا: التقارب العثماني الفرنسي:

في خضم الصراع القائم بين شارل الخامس [1] و فرانسوا الأول على حكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، و ما كانت تعيشه أوروبا من انقسامات سياسية و دينية خطيرة ، في الوقت الذي برزت فيه قوة الدولة العثمانية و مكانتها العسكرية ، لذا ارتأ فرانسوا الأول كسب صداقتها للحد من توسع شارل الخامس[2].

و في أواخر سنة 1525 م أرسل الملك فرانسوا الأول سفيرا إلى الباب العالي – في الوقت الذي كان فيه أسيرا – يطلب من السلطان سليمان أن يهاجم ملك المجر حليف شارلكان رغبة منه في انتصار فرنسا و استرجاع ما سلب منها من الشرف في **واقعة بافيا**[3] [1]

---

[1] – **شارل الخامس (1519 – 1558)** : إمبراطور و ملك إسبانيا ابن فيليب الأول و جوانا ملكة قشتالة و حفيد فرديناند الثاني ملك أرجوان، ورث إمبراطورية " **لا تغرب عنها الشمس** " تولى حكم بعض الممالك التي كانت متحدة و بعد موت ماكسيمليان 1519 ورث أراضي هابسبرج و انتخب إمبراطورا لمزيد من المعلومات **ينظر** : الموسوعة العربية الميسرة : **المرجع السابق** ، ص 1985 .

[2] – مُحَمَّد علي الصلابي : **المرجع السابق** ، ص ص 202 – 203 .

[3] – إدريس الناصر رائسي : **المرجع السابق** ، ص 94.

حيث قابل السلطان السفير الفرنسي و وعده بمحاربة المجر و أنه مستعد لمساعدته، و لكن لم توقع بينهما معاهدة بل اكتفى السلطان بكتابة جوابا [2] إلى ملك فرنسا و ذلك في ربيع الثاني 932 هـ / 1525 م [3] .

ومن ذلك الوقت أصبحت فرنسا صديقة للدولة العثمانية تعقد معها المعاهدات و الإتفاقيات السلمية في شتى المجالات ، كما أن العثمانيين كانوا يقدمون يد العون لفرنسا في حروبها و خاصة ضد إسبانيا ، و هذا ما سأورده في هذا العنصر :

ثانيا – مساعدة الدولة العثمانية لفرنسا في حروبها ضد الإسبان :

قبل حلول النصف الثاني من القرن 10 هـ / 16 م كان العثمانيون يساندون فرنسا في مختلف حروبها و خاصة عندما كان الإخوة بربروس رواد البحرية في ذلك الوقت.

حيث قام خير الدين بالدفاع عن السواحل الفرنسية ضد الأساطيل الإسبانية و قد استقر بميناء طولون بعد أن وضع ملك فرنسا أسطوله تحت تصرفه ، و ذلك قبل أن يتوصل الملك الفرنسي إلى اتفاقية مع الإمبراطور شارلكان في نفس العام [4] و قد أيد خير الدين مبدأ التحالف مع ملك فرنسا (فرنسيس الأول) ضد إمبراطور الغرب شارلكان لاهتمامه بالجزائر و تركيزه عليها[5] .

---

[1] – **موقعة بافيا 1525م** : التي جرت بين فرانسوا الأول و شارل الخامس ، فقد أقدم الملك فرانسوا الأول على غزو إيطاليا مبتدئا بمحاصرة بافيا إلا أنه فوجئ بجيش ألماني هزمه هزيمة ساحقة و اضطر إلى تسليم نفسه للعدو حيث أخذ أسيرا في إسبانيا . لمزيد من المعلومات **ينظر** : عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار : **المرجع السابق** ، ص 70 .

[2] طلب ملك فرنسا المساعدة من سليمان القانوني من اعتداءات ملك المجر حليف شارلكان ، فرد عليه السلطان برسالة ينظر : الملحق رقم 01 ، ص 126 .

[3] – فريد بك : **المرجع السابق** ، ص 86 .

[4] – ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، ط 2 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص 146 .

[5] – بسام العسيلي : **خير الدين بربروس و الجهاد في البحر1470 – 1547** ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1400 هـ / 1980 م ، ص 137 .

وقد حافظت فرنسا على صداقتها مع الدولة العثمانية حتى بعد وفاة الملك فرانسوا الأول ليواصل ابنه هنري الثاني تلك العلاقة و الموالاة للدولة العثمانية للاستعانة ببحريتها عند الحاجة ، كما أن فرنسا رافقت السلطان العثماني في حربه ضد العجم ، وحدث أن اشتعلت نار الحرب بين فرنسا و النمسا فاتفق الأسطول العثماني مع الأسطول الفرنسي لفتح جزيرة كورسيكا نكاية في جنوة لمساندتها لشارلكان[1] .و في عهد هنري الثاني هاجم صالح رايس[2] ميورقة سنة 1552 م بحجة تخفيف الضغط عليه ، و الذي طلب العون من حكام الجزائر[3].

و قد أنزل قواته فيها سنة 1553 م و نهب الأرياف و واصل طريقه على السواحل الإسبانية و استولى على عشر سفن إسبانية و برتغالية [4] وأدى هذا التقارب إلى تطور العلاقات الودية بين الطرفين .حيث أصبح السلطان العثماني يصدر أحكام للإيالات التابعة له فيما يصب في مصالح فرنسا .

ثـالثـا – المناوشات البحرية بين بحارة الإيالات العثمانية و فرنسا (القرصنة و الجهاد البحري) :

و رغم ما أبرمته الدولة العثمانية مع فرنسا من اتفاقيات و معاهدات ، إلا أنه كان بعض بحارة الإيالات لا يتقيدون دائما بالأوامر الصادرة بهذا الخصوص ، فكانوا يقومون بالاعتداء و التجاوز على الممتلكات الفرنسية الأمر الذي دفع السفير الفرنسي باستانبول بإرسال

---

[1] – أبي مصعب السوري: **المرجع السابق** ، ص 38 – 39 .

[2] – **صالح رايس** : من أصل عربي و هو من مواليد الاسكندرية ، دخل في خدمة الأتراك في سن مبكرة أثناء غزو السلطان العثماني سليم الثاني لمصر ، ثم انتقل إلى تركيا و بعده إلى المغرب ، ثم عيين بايلربايا على الجزائر سنة 1552م ، و قد أعطى دفعة قوية لنشاط البحرية الجزائرية :

Moulay Belhamissi : **Marine et Marins D'Alger**(**1518 – 1830**),Les Navires et Les Hommes, Bibliothèque Nationale D'Algérie, Alger , 1996 ,Pp142 – 143 .

[3] – ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية ، المرجع السابق** ، ص 146 .

[4] – المنور مروش : **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير و الواقع** ، ج 2 ، دار القصبة ، الجزائر ، 2009 م ، ص 121 .

شكوى للسلطان العثماني و الذي بدوره كان يقوم بإرسال أوامره إلى كافة المسؤولين و كذا السناجق بإعادة ما سلب من التجار الفرنسيين مع التحقيق في ذلك و معاقبة كل من لا يحترم عهد الأمان .

فالسفير برتمول طلب من الملك إقامة قنصلية فرنسية بالجزائر بحجة استيلاء القراصنة الجزائريين على سفنهم و سلبهم إياها [1] .

و كما جاء في رسالة من السلطان العثماني سليمان القانوني إلى بايلرباي إيالة الجزائر حسن بن خير الدين بربروس و كذا بايلرباي إيالة طرابلس الغرب يدعوهما فيها إلى الإنتباه إلى البحارة الجزائريين و الطرابلسيين الذين قاموا بقرصنة تجار فرنسيين [2] بأخذ امتعتهم ، لذا أمر السلطان العثماني سليمان القانوني حسن بن خير الدين [3] و بالبحث عن هؤلاء الأشخاص و القبض عليهم ، ليتمكن التجار الفرنسيين بالقيام بأعمالهم التجارية في أمان ، كما أمره بالتحقيق من السجل الذي أرسله إليه و الذي به حصر للأمتعة و الأشياء المأخوذة من طرف بحارة الجزائر ، و البحث عنها و إرجاعها لأصحابها ، و قد أكد عليه بعدم تعرض البحارة الجزائريين للسفن الفرنسية احتراما لعهد الأمان و الصلح بينهما ، وفقا لما جاء في الوثيقة التالية :

"....نخبركم بأن سفير فرنسا المقيم بإسطنبول ، رفع الينا شكوى حول اعتداء بعض بحارة إيالة الجزائر على تجار فرنسيين من ولاية الجزائر ، و قاموا بسلب أمتعتهم و تجارتهم . و عليه لدى وصول هذا الحكم نأمركم بالتفحص حول الأشخاص الذين ألحقوا الضرر بالفرنسيين و القبض عليهم و عليك بتوفير الأمن و الأمان حتى يقوم الفرنسيين

[1] – عزيز سامح التر : **الأتراك العثمانيون في** افريقيا **الشمالية** ، تر : محمود علي عامر ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1409 هـ – 1989 م ، ص 151 .

[2] اشتكى ملك فرنسا لدى الباب العالي من اعتداءات بحارة إيالتي الجزائر و طرابلس الغرب على السفن الفرنسية و في اثناء عهد الأمان ، ما جعل السلطان العثماني يرسل أمر لحكام الايالات ينظر: الملحق رقم 04 ، ص 129 .

[3] – الأرشيف العثماني :**مهمة دفتري** رقم 7 ، ص 138 ، حكم 355 بتاريخ 17 ربيع الآخر 975 / 21 اكتوبر 1667 م / فاضل بيات :**الجزائر في الوثائق العثمانية القرن 16** ، ص 244.

بأعمالهم التجارية بالإيالة. ثم نأمرك بأخذ كل الأمتعة و سائر المتاع الذي تم الاستيلاء عليه ، من طرف بحارة الإيالة المذكورين سالفا و إرجاعها كاملة دون نقصان إلى الفرنسيين و هذا بمقتضى عهد الصلح المعقود بيننا و بين فرنسا . و في حالة ظهور أفراد يخالفون هذا الأمر ، فعليكم بكتابة أسمائهم و إرسالها إلى الباب العالي"[1] .

و الرسالة الثانية ورد فيها:

"...لقد تم التعرض و الاعتداء على رعايا الدولة الفرنسية من قبل بحارة الجزائر في العديد من المرات و قد تم إرسال سجل مبين إلينا . و فيه حصر لتلك الأمتعة و الأشياء المأخوذة من طرف بحارة إيالة الجزائر و ها نحن نرسله إليكم . و عليه و بحكم هذا الأمر الشريف ، نأمركم بالتحقيق من هذا الدفتر و بالبحث عن الأمتعة المأخوذة و استرجاعها من أي فرد ظهرت لديه ، و إرسالها إلى أصحابها . كما و عليك تحاشي النزاع و التعلل بأسباب اخرى ، و نأمرك بالتأكيد على طائفة البحارة على أهمية احترام عهد الأمان و الصلح مع فرنسا و عدم القيام بفعل يعارض ذلك"[2] .

و من خلال الاعتداءات المتكررة من طرف بحارة إيالتي الجزائر و طرابلس الغرب على السفن الفرنسية لذا كان السلطان العثماني يحذرهم من هذه الأعمال، خاصة و أنهم في عهد الأمان حيث أرسل السلطان أمرا لإيالة الجزائر بهذا الشأن ، و فقا لما ورد في الوثيقة :

" هذا حكمنا الشريف إلى إيالة الجزائر : لقد وصل إلى مسامع عتبتنا العالية ، بأن أحد رياس البحر المدعو أرنوط مراد ، قام بالإغارة و الهجوم على إحدى السفن الفرنسية ،

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 5 ، ص94 بتاريخ 12 صفر 973 هـ / 8 سبتمبر 1565 م / عبد الجليل التميمي : **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر** ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ، 2009م ،ص 176 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 5 ، ص 259 بتاريخ 20 جمادى الاولى 973 هـ / 13 سبتمبر 1565 م / عبد الجليل التميمي : **نفسه** ، ص 177 .

عندما التقى بها في عرض البحر ، و ألحق بها خسائر . و عليه عند وصول أمري هذا ، نأمرك بالقبض على هذا الرئيس و الاستعجال في إرساله إلى استانبول [1] .

ومن خلال هذا يمكن القول أن الدولة العثمانية عقدت مع فرنسا الهدنة و منحتها صلاحيات و امتيازات حتى سموا تلك الفترة ب عهد الأمان ، ولكن و رغم هذا إلا أنه بعض بحارة الجزائر كانوا يقومون بنهب و سلب بعض السفن الفرنسية ، ما جعلهم يقدمون شكوى للباب العالي ، و بهذا فالسلاطين العثمانيين كانوا يبعثون الأوامر لحكام الايالات و خاصة إيالة الجزائر لمنعهم من الاعتداء على السفن الفرنسية من خلال تلك الوثائق التي رأيناها .

رابعا – قضية الأســرى بين فرنسا و الدولة العثمانية :

و استمرت العلاقات الودية بين الطرفين حتى بعد وفاة السلطان سليمان القانوني ، من خلال تطور الامتيازات الفرنسية أواخر القرن 16 م على عهد سليم الثاني و مراد الثالث على التوالي [2] .

و في سنة 1569 م تم تجديد معاهدة الامتيازات بين شارل التاسع [3] و سليم الثاني [4] و التي نصت على تأكيد الامتيازات القنصلية السابقة [5] كما زاد عليها امتيازات أخرى و منها

---

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 47 ، ص 41 بتاريخ 7 ربيع الاول 990هـ / 1582م / عبد الجليل التميمي :**المرجع السابق** ، ص 257 .

[2] – كمال حسنة : **العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789 – 1807 م** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ : اشراف : عائشة غطاس ، جامعة الجزائر ، 2005 – 2006 م ، ص 27 .

[3] – شارل التاسع (1550 – 1611) أصغر ابناء جوساتاف الأول قام بالوصاية منذ 1592 و وطد اللوثرية دينا للدولة خلع ابن أخيه ملك بولندا عن ملك السويد . **ينظر:** الموسوعة العربية الميسرة : **المرجع السابق** ، ص 1987 .

[4] – ولد سليم الثاني في 6 رجب سنة 930 هـ الموافق ل 10 مايو 1533 م و هو ابن روكسلان الروسية تولى الحكم بعد موت أبيه و وصل إلى القسطنطنية في 9 ربيع الاول 974 هـ الموافق ا 24 ديسمبر 1566 و بعد ان مكث يومين سار على عجل إلى مدينة سكدوار للاحتفال بإرجاع جثة والده الى القسطنطينية **ينظر:** فريد بك: **تاريخ الدولة العثمانية العلية** ، المرجع السابق ، ص 109 .

[5] – كمال حسنة : **المرجع نفسه** ، ص ص 27 – 28 .

إعفاء الفرنسيين من دفع الخراج و إعطاء حق للقناصل في البحث عن الأسرى الفرنسيين لدى الدولة العثمانية و إطلاق سراحهم [1] . وفقا لما ورد في الوثيقة التالية :

" ... **لقد تم إخبارنا بأنه تم أسر بعض رعايا الفرنسيين، مع العلم أن هؤلاء منذ القدم، يتمتعون بصداقة الباب العالي، وعليه فإن الاعتداء و العلم على هذه الطائفة بغير حق هو غير جائز. وعليه لدى وصول هذا الحكم، نأمركم بالتقيد به واعتبار الفرنسيين ليسوا من أهل الحرب كما الشأن بالنسبة للبندقيين، وكل ما أخذ من الفرنسيين، يرجع إلى أصحابه، وعليكم بالحفاظ على الأمن والأمان وإطلاق سراح كل الأسرى، ولا تتذرعوا بالقول بأنه تم القبض عليهم لأنهم بندقيون، إن هذا القول غير مقبول. فعليكم المزيد من الحذر وإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين مهما كان عددهم** " [2] .

بعدما أعلم الفرنسين الباب العالي أنه تم أسر اشخاص منهم ، أمر السلطان العثماني سليم الثاني بايلرباي إيالة الجزائر علج علي باشا بأن يتم اطلاق سراحهم لما يتمتعون به من صداقة معهم منذ القدم .

و في رد من السلطان العثماني على ملك فرنسا في خطاب له استجابة لطلب ملك فرنسا في إطلاق سراح أسراهم ، مع وضع حد لمن يخالف عهد الأمان المنعقد بين الطرفين وفقا لما جاء في الوثيقة التالية :

" **وصل إلى عتبتي العليا ...خطابكم المفتون بالإخلاص و ورد في مضمونه ... أن خطابنا السلطاني قد وصلكم ... على يد سفيركم ... و قد اصبحت المسائل المتعلقة بالصداقة الخالصة و التي تم الإشعار عنها معروفة بأصلها و حقيقتها ، و لم تبدد دقيقة واحدة من السعي و الاهتمام في مجال تعزيز أواصر المحبة و الوداد و أولي الاهتمام ... بشروط المعاهدة و الميثاق ، و أن سبب تأخر الأسطول يعود إلى ظهور بعض الأعداء في داخل**

[1] – أبي مصعب السوري : **المرجع السابق** ، ص 45 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 12 ، ص 579 بتاريخ 8 ذي الحجة 979هـ / 1572م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص ص 198 – 199 .

البلاد و وصلهم للقلعة ...و استيلائهم عليها على الغفلة و إرسال الجنود لإعادة فتحها و إخضاعها ..."[1] .

خامسا– الامتيازات الممنوحة لفرنسا من طرف الدولة العثمانية (صيد المرجـان و حرية التجـارة) :

بعدما توطدت العلاقات بين الدولة العثمانية و فرنسا و ازدادت أواصرها و تطورت ما جعل العثمانيين يجددونها و هذا من خلال منحهم امتيازات و صلاحيات واسعة و منها:

في سنة 985هـ / 1577م تمكن الفرنسي نيقولا من الحصول على إذن من استانبول تخول الفرنسيين حق ممارسة الأعمال التجارية و صيد المرجان مكان المؤسسات القديمة التي هدمت سابقا (الباستيون) و قد تضمن الفرمان الهاميوني السماح للفرنسيين صيد المرجان في المناطق الواقعة بين الجزائر و تونس ، و طلب من أمير الأمراء التعامل معهم بشكل حسن شريطة دفع عُشر أرباحهم ، و لم يسمح لهم الفرمان بإنشاء قلعة هناك و سلم الفرمان إلى أمير أمراء الجزائر سنة 986هـ / 1578م [2] .

في سنة 1578 م / 986 هـ طالب الفرنسيون رخصة من الباب العالي لصيد المرجان بمنطقة مارتاريز الواقعة بين تونس و الجزائر فاستجاب السلطان العثماني لذلك و سمح لهم ممارسة الصيد دون أن يمنعهم أحد مقابل دفع 1 /10 من قيمة المرجان ، و قد رفض طلب الجنويون و الإيطاليون الذين طلبوا منه ذلك سابقا حيث جاء في الوثيقة ما يلي :

[1] – فاضل بيات : خطاب سلطاني للرد على ملك فرنسا ، بتاريخ 1573 . الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 22 ، ص 51 تسلسل 108 ، بتاريخ 12 صفر 981 هـ / 13 حزيران / يونيو 1573 م/ فاضل بيات : **البلاد العربية في الوثائق العثمانية ، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي** ، تق ، خالد ارن ، منظمة التعاون الإسلامي ، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية بإستنبول ، 2019 م ، ج8 ، ص 248 .

[2] – عزيز سامح آلتر : **المرجع السابق** ، ص 153 .

" ... لقد قام الفرنسيون بطلب رخصة صيد المرجان و استغلاله بمنطقة مارقاريز الواقعة بين الجزائر و تونس ، و الذي سبق و أن طلب الجنويون و الإيطاليون رخصة و إجازة من الباب العالي لصيد المرجان فيه . و عليه فالمطلوب عدم السماح للجنويين ببناء قلعة بها أو الصيد فيها ، بل العمل على السماح للفرنسيين فقط ، بصيد المرجان و بناء القلعة بهذا الموقع في مقابل دفع 10/ 1 قيمة المرجان المصطاد ولا يمنعهم أحد من ذلك " [1].

و تعتبر هذه السنة أن العلاقات الجزائرية الفرنسية أصبحت رسمية و ذلك بإنشاء القنصلية الفرنسية في الجزائر و قد عين ملك فرنسا " بارتمول " بمنصب قنصل في مدينة الجزائر و هذا نتيجة للتقارب العثماني الفرنسي.

كما أرسل السلطان العثماني أمر إلى جميع أمراء الجزائر الغرب و أعيانها و آغاواتها و قاداتها بعدم التدخل بالأماكن التابعة للفرنسيين

و عدم التدخل في شؤونهم التجارية ، و أكد على الحيطة و الحذر من مخالفة عهد الأمان جاء في الوثيقة ما يلي :

" يرتبط ملك فرنسا و منذ قديم الزمان و لحد الآن بكمال الاخلاص و أشد الارتباط بأستانة دولتي و لهذا فاني لا أقبل التدخل بالأماكن التابعة للفرنسيين و بشؤون التجار فينبغي أن تحتاطوا من حدوث وضع مخالف للعهد و الأمان..." [2] .

و حتى إيالة تونس فقد قام بحارتها و عمال الميناء فيها بما قام به بعض بحارة إيالة الجزائر و طرابلس الغرب لذا فقد حذر السلطان العثماني بايلرباي إيالة تونس رمضان باشا الذي كان

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 35 بتاريخ 3 جمادى الآخر 986 هـ / 7 اوت 1578 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 242 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 18 ، ص 135، حكم 288 بتاريخ 23 شوال 979 هـ / 9 آذار / مارس 1572 / فاضل بيات : **المرجع السابق** ، ص 245.

حاكما في إيالة الجزائر أي في الوقت الذي كانت إيالة تونس تابعة لبايلرباي إيالة الجزائر بعدما جاءته شكوى من أحد وكلاء الملك الفرنسي بحيث أن عمال الجمارك والميناء يأخذون ضرائب على السفن التجارية الفرنسية ، و الذين رفضوا دفع ضريبة حق الرسو مما دفع بحارة الإيالة بالسطو و الهجوم على تلك البضائع و تعرضت للتلف. و هذا ما ورد في الرسالة التاليـة :

" هذا حكمنا الشريف إلى بايلرباي إيالة تونس : نخبرك بأن أحد وكلاء الملك الفرنسي قدم إلى ميناء تونس ، فلاحظ كيف أن عمال الجمارك و الميناء يأخذون حق نقل و إنزال البضائع من السفن التجارية الفرنسية ، كما و فرضوا ضريبة حق الرسو في الميناء و قد تعرضت تلك البضائع سواء التابعة للتجار أو للإيالة إلى التلف و النقصان ، بسبب سطو عمال الميناء عليها . و من أجل وضع حلا لهذه التصرفات ، كانت أوامرنا الشريفة قد أرسلت إلى رمضان باشا و الذي أمرناه برفع هذه البدعة و عدم طلب دفع حق نقل البضائع و الرسو من السفن التجارية ، و وضع حد لتلف و إلحاق الضرر بالتجار و بأموال الدولة و إلغاء هذه البدعة المعمول بها " [1] .

و قد أصدر السلطان العثماني أمرا لبيلرباي إيالة تونس على وضع حل لهذه التصرفات التي قام بها عمال الميناء من نهب بضائع التجار الفرنسيين و فرض ضرائب غير قانونية عليهم و إلحاق الضرر بهم و بأموال الدولة .

مما يدل و يؤكد على العلاقة الطيبة بين الدولة العثمانية و فرنسا ، بالرغم أنها كانت متذبذبة في الإيالات ، مما أجبر السلطان العثماني بايلربايات الإيالات التابعة له باحترام تلك العلاقة ، و عهد الأمان .

و المستنتج من هذا أن السلاطين العثمانيين عندما تصل إليهم أخبار بما قام به بعض بحارة الإيالات الثلاث من التعرض للفرنسيين خاصة التجار من نهب و سلب و فرض ضرائب و

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 40 ، ص 40 بتاريخ 22 صفر 987هـ / 20 أفريل 1579م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 245 .

غيرها فإنهم يسارعوا في إصدار أحكام لمنع ذلك ، كما أمروهم باحترام تلك الصداقة مع معاقبة من يتجاوزها لتتمكن فرنسا من ممارسة أعمالها سواء تجارة أو صيد المرجان أو ديبلوماسية أو أعمال القناصل رغبة منها في مد رقعتها الجغرافية في نطاق واسع فكل طرف يسعى لتحقيق كل ما يخدم مصالحه .

إلا أنه فيما بعد بدأت العلاقات تسوء و تضعف شيئا فشيئا رغم تطور علاقات فرنسا بالدولة العثمانية و تمكنها من عقد امتيازات و معاهدات و حصولهم على صلاحيات من طرف الباب العالي ، و قد مرت العلاقات الفرنسية العثمانية بعدة أزمات بين سنتي 1569 – 1581 م بسبب ما شهدته من حروب دينية [1] لمدة ثلاثين عاما التي أثرت على تجارتها الخارجية ، إضافة إلى أن التحالف الفرنسي العثماني الذي كان قويا على عهد فرانسوا الأول و هنري الثاني قد تراخى و ضعف بسبب تسرب الشكوك بين الطرفين و خاصة بعد توقيع ملك فرنسا صلح كاتوكمبريزس [2] و اشراك سفنه في معركة "ليبانتو" البحرية إلى جانب أساطيل القوى الأوروبية المتحالفة ضد السلطنة العثمانية [3] .

نتيجة لهزيمة الأسطول العثماني في معركة ليبانتو أظهرت فرنسا طمعها في بلاد المغرب الإسلامي ، حيث قدم ملك فرنسا مشروعا إلى السلطان العثماني يتضمن طلب ترخيص لحكومته بسط نفوذها على الجزائر زعما منها حمايتها و الدفاع عنها ، لكن السلطان أبدى عدم موافقته وإعراضه عن هذا[4]

[1] – تعتبر الحروب الإيطالية التي نشبت بين فرنسا و إسبانيا فيما بين 1494 – 1559 مظهرا من مظاهر التنافس الدولي بين هاتين الدولتين من أجل السيطرة و النفوذ في أوروبا و الرغبة في التوسع الاقليمي داخل القارة ، **ينظر** : عمر عبد العزيز عمر : **دراسات في التاريخ الأوروبي و الامريكي الحديث** ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1992 ، ص 100 .

[2] – معاهدة صلح بين إسبانيا و فرنسا و إنجلترا ، وقعت في لي كاتو 1559 م خرجت إسبانيا منتصرة في صراعاتها مع فرنسا الذي ظل ستين (60) سنة على السيادة في إيطاليا ، **ينظر** : الموسوعة العربية الميسرة : **المرجع السابق** ، ص 2619 .

[3] – إدريس رائسي : **المرجع السابق** ، ص 107 .

[4] – مُحَمَّد علي الصلابي : **المرجع السابق** ، ص 283 .

إن مكانة فرنسا تراجعت لدى الدولة العثمانية إثر دخول منافسين و خاصة إنجلترا[1] .

و نتيجة لضعف العلاقات و تراجعها بين الطرفين أصبح بحارة الإيالات العثمانية في المغرب يشنون الغارات على المراكب الفرنسية أكثر من غيرها مما عرقل الحركة التجارية بين فرنسا و موانئ الشرق . و كما نلاحظ أن السلطان العثماني لم يقم بإصدار حكم أو امر لمنع تلك الغارات مما يؤكد ضعف العلاقة و توترها بينهما .

و يمكن القول أن فرنسا وطدت علاقاتها مع الدولة العثمانية بسبب ضعفها و تجد قوة تحميها من إسبانيا ، و كذلك كي تتحاشى صراع التوسع أو مد السيطرة و النفوذ و خوفا من أن تنتزع منها بعض المدن ، و كما قيل : " أن فرنسا الابن المدلل للدولة العثمانية " .

لكن عندما بدأ الضعف ينخر قوة الدولة العثمانية بدأت تلك العلاقات الودية تتحول إلى أطماع في السيطرة على جزء من ممتلكات الدولة العثمانية ، لذا لاحت أنظارها على إيالة الجزائر التي تمتلك موقع استراتيجي هام و كونها قريبة منها جغرافيا مما يسهل عليها .

المبحث الثاني : علاقة الدولة العثمانية بإنجلترا خلال النصف الثاني من القرن 16 م / 10 هـ

تعتبر إنجلترا جزء من أوروبا لكنها لم تخض معظم ما خاضته دول الغرب الأوروبي لأنها كانت منعزلة تماما عن القارة الأوروبية و كذا نبذ الكنيسة للملكة إليزابيث الأولى، الأمر الذي هدد بفنائها و زوالها فقررت الاتصال بالدولة العثمانية و محاولة كسبها إلى جانبها للخروج من ظلام تلك العزلة ، و لتتمكن من ممارسة التجارة في الشرق بسهولة و يسر.

و بعد قرارها في التواصل مع السلطنة العلية دخلت في غمار مجريات أحداث ضفتي المتوسط ،الذي حدد علاقاتها مع الدولة العثمانية و ما حظيت به من تسهيلات و امتيازات ، هذا ما سنراه في هذا المبحث .

[1] – كمال حسنة: **المرجع السابق** ، ص 27.

أولا – الامتيازات و حرية التجارة لإنجلترا في الدولة العثمانية :

كانت انجلترا تمارس تجارتها مع شرق البحر المتوسط و التي حصرت في أيدي المدن الإيطالية ، كونها همزة وصل بين الشرق و الغرب ، كان الإنجليز لا يعرفون شيئا عن الأتراك العثمانيين أو لا يهتمون بهم ولا بفتوحاتهم في الشرق لدرجة أن كتاباتهم تخلو من ذكر سقوط القسطنطينية [1] .

و قد ظهروا في البحر المتوسط و كانوا يقومون بشراء بعض السلع اللازمة ، كما أن أصبح لهم قناصل في مناطق مختلفة كالقسطنطينية و غيرها و قد انتهز الإنجليز فرصة غياب البنادقة المؤقت لانشغالهم في حرب قبرص ، و في الوقت الذي وصل فيه تاجرين من لندن إلى القسطنطينية حيث حصلا في عام 1580 م من السلطان أحمد امتيازات تشبه امتيازات الفرنسيين [2] .

كانت إنجلترا و إسبانيا على عداء و خاصة في أواخر القرن 16 م ، أي فترة حكم الملكة اليزابيث .

التي كانت تميل للسلام ، لكن المنافسة التي استمرت بينها و بين إسبانيا حالت دون ذلك ، فكان الصراع دينيا يتخلله تنافس على التجارة و امتلاك المستعمرات في امريكا [3].

أدى هذا العداء بين الطرفين إلى تقرب الملكة اليزابيث أكثر من الدولة العثمانية بغية إيجاد منافذ تجارية و حماية ومصالحها التجارية في البحر المتوسط [4] .

و قد استمرت العلاقات التجارية العثمانية الإنجليزية بالرغم من عدم عقد معاهدة بينهما ، إلى عام 1553 م في حلب حيث سمح لأحد الإنجليز المتاجرة بحرية في الدولة العثمانية ، كما استقبلت السلطات العثمانية بعثة إنجليزية عام 1578 م بهدف وضع حجر الأساس

[1] – إدريس الناصر رائسي : **المرجع السابق** ، ص 154 .

[2] – جلال يحي : **تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة** ، دار المعارف ، مصر ، 1982 م ، ص 107 .

[3] – عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار ، **المرجع السابق** ، ص 192 .

[4] – فاضل بيات : **المرجع السابق** ، ص 264 .

للتجارة الإنجليزية في الدولة العثمانية في الوقت الذي بدأ السلطان العثماني مراد الثالث بمراسلة ملكة إنجلترا ايلزابيث [1].

ثانيا – مساعدة إنجلترا لمسلمي الأندلس :

و بالفعل قد تمكنت الملكة اليزابيث من كسب صداقة الدولة العثمانية و خاصة أن لهما عدو مشترك و المتمثل في إسبانيا ، و قد ساهمت اليزابيث في مساعدة مسلمي الأندلس من إسبانيا .

و من ذلك الوقت اصبح السلطان العثماني مراد الثالث يقدم الدعم العسكري لملكة إنجلترا ، و كما أنه أصدر أوامر سلطانية إلى بايلربايات الإيالات العثمانية بحيث أكد عليهم الالتزام بها و التي تصب في مصالح إنجلترا ، و مما جاء في نص الخطاب :

" إلى مختارة النساء المستورات العيسوية ، ممتازة الموقرات في الملة المسيحية ، مُصلحة مصالح الطائفة النصرانية ساحبة أذيال الحشمة و الوقار، مكملة ناموس أرباب الناقوس و الزنار ، ملكة مملكة إنكلترة ايلزابث ....

عند وصول التوقيع السامي السلطاني فليكن معلوما أنه وردت إلى سدة سعادتي السامية و عتبتي العليا ....رسالتكم المقرونة بالصداقة تبلغون فيها أن ملك إسبانية فضلا عن كونه من عبدة الأصنام فان دينه يخالف دينكم و هو منذ القدم يكن عداء لكم و يقوم بالحاق الضرر بشكل مقتصد ببلادكم من البحر و البر و بتجاركم الذين يمارسون التجارة في البلاد الإسلامية ، و قام بوضع سفن من نوع قادرغة في الموانئ الواقعة في مضيق سبته و أرجاء المغرب بغية قطع الطريق أمام سفنكم المتجهة إلى البلاد السلطانية المحروسة. ....، كما قمتم بإنقاذ العديد من المسلمين ممن تم أسرهم في مملكة إسبانيا و ذلك بنقودكم ، و أرسلتم بعضهم إلى أستانة السعادة و بعضهم إلى بلدانهم ، و تسعون إلى انقاذهم دائما . ومقابل خدمتكم هذه و صداقتكم طلبتم ...إصدار أحكام شريفة

[1] – تيسير جباره : **المرجع السابق** ، ص 144 .

إلى الولاة و الأمراء و التأكيد فيها عليهم لرعاية تجارتكم في البلاد المحروسة و منع الاعتداء على أي شخص منهم خلافا للعهدنامة السلطانية ، و ذلك ليتسنى لهم ممارسة التجارة بحضور الحال و فراغ البال .... "[1].

و من خلال مراسلات السلطان مراد الثالث مع ملكة ايلزابيث ضمنت للتجار الإنجليز حرية التجارة مع امتيازات واسعة في عام 1579 م أرسل السلطان مراد لملكة إنجلترا يقول فيها :

" **أن البلاد العثمانية ستبقى دائما مفتوحة للتجار الإنجليز** ". لذا فقد نشط التجار الإنجليز في حلب و شمال بلاد الشام و أنشأ الإنجليز عام 1581 م شركة بلاد المشرق التي تركز نشاطها في بلاد الشام [2]

ثالثا – تسهيل أمور المبعوثين الإنجليز ، و تحرير أسراهم :

و قد أمر السلطان العثماني الأمراء و البايات و القضاة و الأمناء بطرابلس الغرب و المغرب كافة بأن يعملوا على تسهيل مهام المبعوث البريطاني غويمه و خادمه القنصلية و أن يوفروا له الأمن ، مع السهر على خدمته و توفير كل ما يحتاجونه على طول الطريق والمحطات و الموانئ التي ينزل بها مع عدم التعرض لهم. وهذا وفقا لما ورد في النص السلطاني:

" **هذا حكمي الشريف إلى كل أمراء و البايات و القضاة و الأمناء الموجودين بين منطقة المغرب و طرابلس الغرب : لقد طلب السفير الإنجليزي بالباب العالي المدعو غريمه صاريروت على لسان ملكته ببريطانيا تسهيل مهمة المبعوث الإنجليزي و خادمه جعفر ، الذي يرافقه و الذي خصصت له 10 أقجة ،لأداء بعض المهام و المصالح القنصلية الإنجليزية بطرابلس الغرب . و عليه لدى وصول حكمي هذا ، نأمرك بالسهر**

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 71 ص 69 – 70 ، تسلسل 141 ، بتاريخ 17 محرم 1002 هـ / 12 أكتوبر 1593 م / فاضل بيات : **المرجع السابق** ، ص 269 .

[2] – تيسير جبارة : **المرجع السابق** ، ص 144 .

على خدمة المبعوث الإنجليزي و مرافقته و السهر على حمايتهم و توفير ما يحتاجونه على طول الطريق و المحطات و الموانئ التي سوف ينزلون بها و عدم التعرض لهم"[1].

و كذلك يمكن استنتاج تلك العلاقة الودية بينهما من خلال أمر السلطان بإطلاق سراح أسرى الإنجليز .

التي حصلت أيضا على امتيازات من جانب الدولة العثمانية بعدم التدخل في شؤون السفن الإنكليزية في عرض البحر و التعامل على أنها صديقة ، لكن بعض الحكام كانوا يتجاوزون على التعليمات الصادرة بخصوص عدم الاعتداء على السفن الإنكليزية و ورد فيه حكم موجه الى بايلرباي ايالة طرابلس الغرب . و ينص :

" **قدم سفير ملكة إنكلترة عريضة أبلغ فيها بأنه صدرت أحكام شريفة تقضي بإطلاق الأسرى الإنجليز ... وتعويض الأضرار و الخسائر المتحققة ...**" [2] .

يمكن أن نستنتج أن العلاقة بين الدولة العثمانية و إنجلترا كانت ودية رغم تأخرها إلا أنها تمكنت من كسبها كصديقة و عملت على توطيد تلك الصداقة و تعزيزها ، خاصة و أنها كانت في عداء مع إسبانيا .

و ما يوضح تلك العلاقات الطيبة أيضا هو إرسال السلاطين العثمانيين أحكام سلطانية لأمراء الإيالات بما يخدم مصالح إنجلترا مع حثهم على احترامها و العمل بها .

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 52 ، ص 240 بتاريخ محرم 992 هـ / 1 فيفري 1584 /عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 261 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 60 ، ص 201 ، حكم 472 و 61 ، ص 30 حكم 85 بتاريخ 2 ربيع الآخر 994 هـ / 23 آذار / مارس 1586 ، ص ص 181 – 283 .

الـفـصـل الثـالث : العلاقات العثمانية الإسبانية و أثرها على إيالات المغرب العثمانية خلال النصف الثاني من القرن 10 هـ /16 م

تمهيد

أولا : مساندة العثمانيين لمسلمي الأندلس

ثانيا : الحملات الإسبانية على الدولة العثمانية و إيالاتها

ثالثا : الجهاد البحري العثماني ضد القراصنة الإسبان

رابعا : اعتماد الأسرى كعامل ضغط بين الدولة العثمانية و إسبانيا

خلاصة الفصل :

لم يطق الإسبان من إقامة المسلمين في بلادهم فأرادوا إخراجهم منها ،فوحدوا جهودهم و بدعم من البابا الذي حمس فيهم روح المسيحية فاستجاب الإسبان و بقية المسيحيين له و قد باشروا بالتحرش و التنكيل بالمسلمين لطردهم من هناك ، فنشأوا لهم محاكم التفتيش و كل وسائل التعذيب فما وجد مسلمي الأندلس الحل إلا الاستصراخ بالقوة الإسلامية العثمانية .

في الوقت الذي شهد فيه المغرب العربي أوضاع تقهقر و تمزق سياسي بسبب صراع دويلاته على عرش الموحدين ، و هذا ما جعله محط أنظار و أطماع أوروبا و خاصة إسبانيا الذين استغلوا الفرصة و شنوا هجماتهم عليه انتقاما من الاسلام و المسلمين.

و نظرا لأوضاع المسلمين المتردية لم يتمكنوا من صد هجماتهم ،مما دفعت الضرورة بالعثمانيين التدخل لرد عدوانهم و من ذلك الوقت كانت الدولة العثمانية في مد و جزر مع إسبانيا .

أولا : مساندة الدولة العثمانية لمسلمي الأندلس

بعدما استكملت إسبانيا وحدتها 1474 م و هذا من خلال زواج فرديناند بإيزابيلا بهدف استئصال المسلمين من إسبانيا كليا بطرد مسلمي الأندلس منها و التنكيل بهم بإنشاء محاكم التفتيش .. و غيرها و الذين فروا للنجاة بأنفسهم و دينهم من الظلم و الاضطهاد إلى شمال افريقيا ، حيث قام الإسبان بملاحقتهم إلى هناك رغبة منهم في احتلال بلاد المغرب الإسلامي.

و بالفعل تمكن الإسبان من احتلال بلاد المغرب بسبب تراجع و ضعف المسلمين و أفول نجمهم في بلاد المغرب العربي، و في المقابل ظهرت قوة إسلامية في المشرق الإسلامي ألا و هي الدولة العثمانية لحماية المسلمين

في المغرب الإسلامي و كذا الاندلس [1]. و قد عانى مسلمي الأندلس بتعرضهم لضغط إرهاب مسيحي مما جعلهم يطلبون المساعدة من السلطان بايزيد الثاني والتدخل بهدف حمايتهم [2].

و قد بعثوا له رسالة تبين حالهم و هي عبارة عن مقطوعات شعرية[3]

ولما تمركز خير الدين بالحوض الغربي للمتوسط هرع لتقديم يد المساعدة و العون لمسلمي الأندلس بعدما استرجع مدينة مستغانم التي كانت تحت الحكم الزياني ، بحيث أرسل أسطوله من مستغانم إلى بلاد الأندلس لإنقاذ مسلميها ، الذي وفر لهم سبل العيش ، و قد تمكن من نقل سبعين (70) ألف مهاجر ، و قد أشاد الأندلسيين في رسالتهم للسلطان سليمان القانوني بجهود خير الدين بربروس في تمكنه لرد العدوان عنهم و نقلهم إلى المدن الساحلية الجزائرية كشرشال و برشيك و تلمسان ،و سعيه في توفير الأمن لهم و شجعهم على التعمير و الاستقرار في الساحل الجزائري [4] .

و قد قام العثمانيين بإغاثة أهل الأندلس و التصدي لإسبانيا و هذا من خلال تنظيم حملات بحرية ، و قد أمر السلطان العثماني ذلك بعدما علم أن رياس البحر تحصلوا على بعض السفن المناسبة للحملة و كذا التحق بهم أحد الرجال لدعمهم في تلك الحملة كوالي طرابلس الغرب جعفر ، كما علم السلطان عن حال مسلمي الأندلس و معاناتهم من مواجهة الإسبان وأن قواهم لا تسع لرد عدوانهم بسبب نقص إمكانياتهم في العتاد الحربي ، في الوقت الذي كانت فيه إيالتي الجزائر و تونس في أمن و أمان ، لذا أمر السلطان العثماني برتو باشا بتتبع سلطان إسبانيا و إلحاق الضرر به لما يطمح له من مهاجمة سواحل تونس و الجزائر ،

---

[1] – أحمد توفيق المدني :**حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 – 1792 م** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، (د. س. ن) ، ص 56 .

[2] – مُحَمَّد دراج : **الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروس (1512 – 1543)** ، تصدير : ناصر الدين سعيدوني ، الأصالة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1433 هـ – 2012 م ، ص 176 .

[3] أرسل مسلمي الأندلس رسالة للسلطان بايزيد الثاني : ينظر الملحق رقم 02 ، ص 127 .

[4] رحيمة بيشي : **مراكز حركة الجهاد البحري ... أطروحة دكتوراه قيد التصحيح ، المرجع السابق** .

كما أمره بالتصدي للإسبان و إفشال خططهم و ذلك بالتعاون مع علج علي و حسن باشا [1] . و مما ورد في نص الرسالة ما يلي :

" ...وقد وصلتنا رسالة فليج علي، حول أخبار مسلمي الأندلس وما هم عليه من مقاتلة وجدال ضد الكفار، وكيف أنهم يبذلون النفس والنفيس في القتال، ورغم ذلك فليس لديهم الطاقة الكافية لمحاربة هذا العدو، وأصبحوا في حالة قهر واضحة، وقلة الأخيرة الحربية للاستمرار في حربهم ضد إسبانيا.... وعليك، بترتيب الجيش والعمل على الإغارة على الجزر والسواحل التابعة العدو، وإنزال الخسارة والضرر بها ...."[2]

و بعد قيام إسبانيا بكل هذا ضد مسلمي الأندلس [3] مما دفعتهم الضرورة للاستنجاد بالمسلمين الذين تعذر عليهم ذلك ، و قد لبت الجزائر ذلك أيام علج علي فجهزت حملة لإعانتهم و أمدتهم بالعتاد و السلاح و الرجال[4] .

ثانيا : الحملات الإسبانية على الدولة العثمانية و إيالاتها :

اغتاظ الإسبان من التدخل العثماني حول قضية مسلمي الأندلس و بلاد المغرب لما رأوا في ذلك تهديدا لمصالحهم هناك و خاصة أن بلاد المغرب ذات موقع حيوي و استراتيجي لذا

---

[1] – هو حسن بن خير الدين باشا تولى حكم إيالة الجزائر للمرة الثانية سنة 1557م ، و قد ذاع صيته و أصبح محبوبا لدى الشعب لشهرة أبوه خير الدين و عمه عروج ، ومن بين أهم إنجازاته حملته على المغرب سنة 1557م ، حارب الإسبان في وهران **ينظر** :

Fray Diego De Haedo :**Histoire des Roi D'Alger** ,tra : par : H-D-De Grammont , Adoplphe Jourdan Libraire , Editeur , Alger , 1881 ,Pp 114 - 115 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 12 بتاريخ 03 صفر 979 هـ / 27 جوان 1571 م ص 190 .

لما علم السلطان العثماني بحال أهل الأندلس و معاناتهم من ظلم الإسبان ، لكن لم يتمكن من مد يد العون لهم في تلك الفترة ، فبعث لهم رسالة يوضح فيها عدم تمكنه من ذاك **ينظر**:

[3] الملحق رقم 06 ، ص 133 .

[4] – أحمد توفيق المدني : **المرجع السابق** ، ص 51 .

قاموا بتوجيه حملات ضد الدولة العثمانية و إيالاتها رغبة منهم في استرجاع مستعمراتهم و مصالحهم و ردا على العثمانيين .

و بعد سقوط غرناطة 1492 م قامت إسبانيا بتنظيم حملة عظيمة إلى بلاد المغرب بهدف احتلاله و تمسيحه ، فوجهت حملتها إلى المرسى الكبير 1505 م و ثم احتلت وهران 1509 م و كذا بجاية أيام حكم الحفصيين 1510 و جزر من الجزائر 1520 م ، و كذا استولوا على طرابلس الغرب و دمروها ثم سلموها لفرسان مالطا [1] و بعد كل ما عملت إسبانيا من تحرشات في الأندلس و كذا بلاد المغرب العربي و هذا ما أضعف حكم المسلمين هناك ، مما دفعتهم الضرورة للاستنجاد بالعثمانيين الذين ذاع صيتهم و انتشر في الحوض الغربي للمتوسط كقوة إسلامية عظيمة و من ذلك الوقت بدأ العثمانيين التدخل لتحرير المسلمين من وطأة الإسبان سواء في الأندلس أو في بلاد المغرب العربي حيث قاموا بتنظيم حملات برية و أخرى بحرية بدءا بالأخوة بربروس الذين قاموا بتحرير عدة مناطق خاصة بعد طلب أهلها ذلك .

الذين حثوا و شجعوا الجهاد البجري ضد العدو المسيحي و خاصة إسبانيا بتنظيم حملات لتطهير بعض المناطق الإسلامية من رجسهم فنظموا حملة لتحرير مدينة بجاية لإنقاذ الأمير عبد الرحمان و استرجاعها من يد الإسبان[2].

ثم يليهم بعض رياس البحر و العسكريين محاولة منهم لتحرير بعض الثغور الإسلامية أيضا بمحاصرتها و تضييق الخناق عليها لتستسلم و تسترجع تلك المدن الإسلامية ، و في المقابل كان الإسبان يحصنون المدن و يطلبون الدعم من بعض الدول الأوروبية. و ما يؤكد ذلك هو قيام السلطان العثماني بإرسال أحكام و أوامر للإيالات العثمانية ببلاد المغرب بأن يحتاطوا من هجوم العدو الإسباني أو ليقوموا بتجهيز حملة للتحرير بعض المناطق .

[1] – عبد الله مقلاتي : **المرجع السابق** ، ص 12 .

[2] – عائشة غطاس : **المرجع السابق** ، ص 20 .

حيث أخبر السلطان العثماني بايلرباي إيالة الجزائر حسن بن خير الدين بربروس بأن جاءته أخبار مفادها أن إسبانيا تجهز أسطولا لتستولي على طرابلس الغرب و جربة ، بهدف الانتقام من المسلمين و لمد نفوذهم في أوسع نطاق في بلاد المغرب. لذا أمره بإرسال القوات العسكرية ناحية الغرب ، إضافة إلى إعلام أمير رودوس و ابنه أحمد لحماية مضيق رودوس ، كما أكد عليه تحضير بعض السفن في ترسانة الباب العالي و إرسالها في أقرب وقت خوفا من إحكام تحصينات العدو الإسباني ، مع بذل كل الجهود اللازمة و الاهتمام بأخبار العدو و التجسس عليه و هذا من أجل معرفة نواياهم و ما يخططون من باب أخذ الحيطة و الحذر و هذا ما ورد في الرسالة :

"....أخبرنا أحد رياس البحر المتطوعين المدعو علي، بأن إسبانيا قامت بتجهيز 82 سفينة من نوع قادرغة و10 سفن من نوع قاليتة وقد انتهت بخليج ماسينا، وقد تقرر اللحاق بهذه السفن 40 قطعة من السفن الأوربية، وقد اتفق على تقسيم الأسطول إلى قسمين وإرسال أحداهما ضد جربة والقسم الثاني ضد طرابلس الغرب لمحاربة طورغود ريس، وأمام هذا الخبر فلا بد من تحضير العسكر وإرسال العدد الكافي من الرجال وإرسالهم إلى ناحية الغرب، كما ندعوك بإرسال أمرنا إلى قبطان رودوس وابنه أحمد، لإرسال السفن عاجلا للالتقاء به للعمل على المحافظة على مضيق رودس، كما أرسلت أحكامنا الشريفة لتحضير بعض السفن في ترسانة الباب العالي وإرسالها في أقرب وقت، وعليه حال وصول هذا الحكم، نأمرك يبذل المجهود وإحضار كل اللوازم والاهتمام بأخبار العدو والتجسس عليه والعمل وحراسة الإيالة، لأنه يمكن والعياذ بالله، أن يقوم أسطول العدو بإنزال الضرر بالقلاع والنواحي التابعة للإيالة، قبل وصول الأسطول العثماني إلى تلك الناحية " [1].

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 3 ، ص 58 – 59 بتاريخ 16 شوال 966 هـ / 22 جويلية 1559 م ، عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 173 .

فقد أرسل السلطان هذا الحكم لبيلرباي الجزائر للتعاون مع طرابلس الغرب قصد تحرير طرابلس الغرب مثلها مثل الثغور الإسلامية و لإعلاء راية الإسلام .

و في سنة 1559 م وجه السلطان سليمان القانوني فرمانا إلى درغوث باشا يأمره بتحصين ساحل طرابلس الغرب و أن يحسن معاملة السكان ليعم الهدوء في البلاد [1].

و خاصة عندما علمت إسبانيا بمغادرة الأسطول العثماني لاستانبول راحت تنشر سفنها بالقرب من مصراته بهدف الاستيلاء على طرابلس الغرب.

أي أن إسبانيا تريد استغلال أي فرصة من إغفال الجانب الإسلامي لتسولي على المنطقة التي تهدف الهجوم عليها ، لذا فقد أرسل السلطان العثماني مراكب مجهزة للقتال لرد عدوان إسبانيا و خاصة عندما علم السلطان العثماني ذلك ، و أرسل رسالة لمشايخ القبائل و إلى العلماء بطرابلس الغرب أيضا لتوحيد الجهود و القوات و للعمل الجماعي ضد إسبانيا ، و كما قيل : **" يد الله مع الجماعة "**

و نص الرسالة المرسلة لدرغوث باشا ، و التي جاء فيها مايلي :

" لقد راسلت عتبتنا العالية وأخبرتنا كيف أن العدو، ما أن سمع بعودة الأسطول العثماني إلى استانبول، حتى قامت سفنه العدو بالتجمع بالغرب من مصراته بهدف الهجوم على طرابلس، مع العلم أن طرابلس الغرب هي مثل مماليك المحروسة، وأن رعاياها مثل باقي رعايا الدولة العثمانية، ودائما ننظر إليها بعين العطف والرحمة، وحمايتهم واجبة. ولذا ومن أجل دفع إعتداء الكفار عليها وحفظ الولاية، جهزنا مراكب شبيهة بالكواكب، وزودناها بكل أنواع السلاح للقتال والعساكر، لقتال الأعداء وأرسلناها إلى ناحيتكم، وسوف تصلكم عن قريب هذه القوات كلها، خاصة أنك أظهرت كل المساعي المشكورة لخدمة شؤون السلطة وإعلاء كلمتها. فأنت مملوكي البطل، هذا من أجل إنزال

[1] – نيكولاي ايليتش بروشين : **تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين ، المرجع السابق** ، ص 31 .

الهزيمة بأسطول العدو. ولكي تحصل لكم الغلبة، فقد أرسلنا رسالتنا إلى الرؤساء ومشايخ القبائل وإلى العلماء لجمع الشمل وتوحيد القوات، وليقفوا معك ويوحدوا قواتهم للقتال إلى جانبك ضد الأعداء. وعليك أن تبذل كل ما في وسعك وتتبع أخبار العدو وتقدم بحراسة السواحل ليلا ونهارا حتى لا يصلها أي أذى من الكفار الأعداء. ونأمرك بتعمير وترميم كل القلاع اللازمة للدفاع عن الإيالة، وعليك بإظهار مساعيك وبطولتك المعتادة مع تلك القوات المرسلة لك وإظهار مدى السلطات وقوتها للأعداء الكفار حتى تلحق بهم الهزيمة " [1].

و كان العثمانيين في مواجهة ضد جزيرة قبرص التي كانت تابعة للبندقية ، بحيث قام الأسطول العثماني رفقة باي الجزائر الذين اتجهوا إلى سواحل ألبانيا و استولوا على جزيرتي كورفو و كتالونيا ، و قد تمكن العثمانيون من توطيد نفوذهم في لبانتو 1571 [2] ، إلا أن البندقية تلقت دعما من إسبانيا و صقلية و نابولي و مالطا بقيادة أميرال إسباني

دون جوان [3] .

و عند قيام الدولة العثمانية بهذه الحملة ضد قبرص [4] أرسل السلطان العثماني سليم الثاني أمرا لبايلرباي إيالة الجزائر عراب أحمد باشا يدعوه فيه للالتحاق بالأسطول العثماني و مساندته ، بعد تحصين البلاد و حفظها و تجهيزها عدة و عتادا للاحتراز من أي هجوم

[1] – الأرشيف العثماني : مهمة دفتري رقم 03 ، ص 209 بتاريخ 4 ربيع الاول 967 هـ / 4 ديسمبر 1559 م ، عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 174 .

[2] – في يوم 7 اكتوبر 1571م اندلعت معركة ليبانت بين الحلف المقدس و الأساطيل العثمانية الإسلامية . و بعد ساعات من قليلة من اندلاعها انهزمت ميمنة الأسطول العثماني الأمر الذي جعل علج علي رغم الإنتصارات التي حققها في الجهة اليسرى يفر رفقة سفنه إلى استانبول فوصلها بأمان بعدما غنم حوالي 10 سفن و قتل ما يقارب 500 جندي . **ينظر** :

De Grammont : **Op**. **Cit** ,p 108 .

[3] – إسماعيل أحمد ياغي : **المرجع السابق** ، ص 98 .

بعد الانجازات التي قام بها علج علي أرسل له السلطان العثماني أمرا لفتح جزيرة قبرص لاعتداء أهلها على المسلمين

[4] و نقضهم لعهدهم ، فكان الأمر عبارة عن رسالة ينظر : الملحق رقم 05 ، ص ص 130 – 132 .

مباغت من طرف إسبانيا ، الذين يتحينون الفرص السانحة للانقضاض و الهجوم على المسلمين و خاصة بلاد المغرب لذا يجب الانتباه و اليقظة و عدم إغفال جانبه و كذا تتبع أخباره و التجسس عليه لمعرفة نواياه و مخططاته لكي لا يلحق الضرر ببلاد المغرب و بالإيالات العثمانية ، و هذا ما جاء في نص الرسالة :

" ...لقد وصلت إلى مسامع الباب العالي كيف استطاعت دار جهاد الجزائر، هزيمة أسطول العدو وردته على أعقابه مدحورا، وأنت تعلم بأنه تم إرسال القوات السلطانية وعساكر الظفر الإسلامية والأسطول العثماني متكون من 200 سفينة تحت قيادة وزيري برتو باشا، لفتح جزيرة قبرص، وقد تم تحضير كل العدة وآلات الحرب والبحارين، لذلك ومنذ 15 يوما خرج الأميرال إلى البحر بالأسطول المذكور. وعليه نأمرك بالالتحاق به ومساندته في هذه المهمة، فلا تتأخر في تنفيذ هذا الأمر والعمل على حفظ الجزائر بلادا وقلاعا. كما وعليك بتكثير عدد الجنود للحفاظ على أمن البلاد وتجهيز كل السفن وحراسة وآلات الحرب والبحارة، والالتحاق عاجلا بالأسطول العثماني ثم عليكم بالاتحاد بالقول والفعل والاتفاق معه، كما وعليك بتتبع أفعال العدو والتجسس عليه حتى تتحاشى أن يلحق الضرر بممالكي المحروسة "[1].

و حتى تونس طالها ما طال إيالتي الجزائر و طرابلس ، فبالرغم أنها لم تصبح إيالة بعد في هذا التاريخ 1571 ، إلا أن معظم المدن التونسية كانت تحت السيطرة العثمانية ، حتى مدينة تونس (العاصمة) و في سنة 1569 تمكن علج علي من ضم تونس بعدما كان حاكما على طرابلس الغرب[2] .

[1] – الأرشيف العثماني **مهمة دفتري** 12 ، ص 173 بتاريخ 2 ذي القعدة 978 هـ / 28 مارس 1571 ، عبد الجليل التميمي : مرجع سابق ، ص 195 .

[2] – تخوف السلطان أحمد الحفصي من سياسة علج علي اثناء حكمه لطرابلس الغرب فهادن الإسبان و أعطاهم حق حرية التصرف في البلاد مما هدد أمن تونس و هذا ما جعلهم يطلبون من السلطان العثماني في استانبول أخذ حلق الوادي من جديد ، و قد تعاون أبا الطيب الخضار وزير السلطان الحفصي أحمد مع علج على باشا ، و في سنة 1569 جهز علج علي حملة على تونس مستغلا انشغال الإسبان بثورة المورسكيين ، ينظر : رحيمة بيشي : **العلاقات**

و قد اتفق الإسبان و حلفائهم (مالطا و صقلية) و خططوا للقيام بحملة كبيرة ضد الدولة العثمانية و إيالاتها المغاربية و وحدوا جهودهم للقيام بالهجوم على قلعة تونس و عندما علم السلطان العثماني بهذا أرسل أمر لبيلرباي طرابلس الغرب لتجهيز الأسطول و التوجه بأسرع ما يمكن للمنطقة المذكورة لحماية المملكة . و ورد في نص الأمر المرسل ل.(بايلرباي طرابلس ..) ما يلي :

" .... : **لقد كتب إلينا بايلرباي هذه الإيالة ، يخبرنا فيها كيف قام العدو الكافر (إسبانيا) بمخابرة كل حلفائه و اتحدوا على الهجوم على قلعة تونس ، و أصبح وصول حملتهم على تونس محتملا . و عليه فقد استوجب إعداد الأسطول العثماني و إرساله إلى المنطقة المذكورة على وجه السرعة ، كما أن أحد رجال قليج علي ، الذي كان أسيرا بمالطا ، و الذي استطاع الفرار منها ، أخبر بأن الأميرال (دون خوان) تم الإتفاق على جمع شمل أسطول العدو بجزيرة طبرقة ، و أن الاتحاد مع أخ لك بإسبانيا (خوان دي استريا) للهجوم على تونس و هذا حسب الأخبار التي أوردها .و عليه و في انتظار وصول الأسطول العثماني ، نأمرك بحفظ و حراسة المملكة ...و تحضير كل اللوازم الحربية للتصدي للكفار...."**[1]

و قد جرت معركة في خليج ليبانت بين الدولة العثمانية و دول أوروبا (البندقية و روما و الدولة البابوية) سنة 1571 م و قد خسر العثمانيين المعركة إلا أن علج علي تمكن من إنقاذ معظم سفنه كما استولى على السفينة الحاملة لراية البابوية [2].

السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898 – 982هـ / 1494 – 1574م) ، مذكرة شهادة الماجستير ، **إشراف** : شكيب بن حفري ، جامعة غرداية ، 1432 -1433هـ/ 2011 – 2012م ، **المرجع السابق** ، ص 119 .

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 4 بتاريخ17 محرم 979 هـ / 11 جوان 1571 م، عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 189 .

[2] – رحيمة بيشي : **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898– 982 هـ / 1494 – 1574م** ، **المرجع السابق** ، ص ص 128 – 129 .

سعى الإسبان في الهجوم على الجزائر و تونس معا و لما علم السلطان العثماني (سليم الثاني) بذلك بعث رسالة [1] لجميع حكام المناطق الغربية يأمرهم فيها باتخاذ الاحتياطات اللازمة لصد أي هجوم مفاجئ للإسبان على الجزائر و تونس [2].

و في أيلول (سبتمبر) سنة 1573م تحرك دون خوان في من صقلية بأسطول يتألف من بعض السفن الحربية إضافة إلى عدد من الجنود متوجها إلى تونس لمهاجمتها ، و لم يستطع رمضان باشا الصمود فانسحب إلى القيروان ، و قد تمكن دون خوان من تحطيم تحصينات جالطة و حولها إلى خرابة و باشر في إقامة التحصينات ، و قد سيطر الإسبان على جزيرة سان جاك الواقعة في بحيرة تونس ، و كذلك أقام دون خوان بين المدينة و البحيرة حصنا سماه (باب البحر)[3]

و قد عانت تونس أيضا من عدوان إسبانيا و خاصة بعد تحالف السلطان الحفصي أبا العباس أحمد معهم لاسترجاع العرش الحفصي لتونس فاستجاب له ملك إسبانيا ليس حبا فيه و إنما لتحطيم قوة الجزائر التي كانت تشكل له هاجسا [4].

كما كلف الدون خوان النمساوي لحكم تونس الكونت دي سيربللون أحد كبار ضباط الحملة الإسبانية و قد سارعوا في إقامة قلعة حصينة ما بين مدينة تونس و البحيرة لضمان إخضاع و حماية مدينة تونس من انتفاضات الأهالي في الدواخل كما كلف ضابط إسباني آخر لقيادة الحامية الإسبانية في حلق الوادي[5].

لذا فقد أرسل السلطان العثماني رسالة إلى أعيان تونس يدعوهم فيها إلى العمل على رد هجوم إسبانيا و حلفائها بإحضار جميع المستلزمات الحربية لاستعداد للمواجهة و اليقظة من

---

[1] أرسل السلطان العثماني سليم الثاني حكم لعلج علي بأن يكن على يقظة من جانب العدو ،هذا في رسالة ينظر : الملحق رقم 07 ، ص 136 .

[2] – رحيمة بيشي : **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية أواخر الدولة الحفصية : المرجع السابق** ، ص 127 .

[3] – عزيز سامح التر : **المرجع السابق** ، ص ص 244 – 245 .

[4] – ألفونص روسو : **المرجع السابق** ، ص 96 .

[5] – ألفونص روسو : **المرجع السابق**، ص 98 .

غدرهم مع بذل كل الجهد اللازم و التعاون مع برتو باشا و العساكر المحلية لتوحيد الجهود و الكفاءات المناسبة للتمكن من المواجهة لدحر قوى العدو المسيحي ، و جاء في نص الرسالة ما يلي:

" ورد على سدتنا السنية محضركم المتضمن طلبكم إلحاق القيروان وما يتبعها من النواحي بتونس كما كان سابقا، وكل ما ذكرتموه أصبح معلوما لدينا. وبناء عليه، تبقى الأوامر الشريفة السابقة على ما كانت عليه فيما يتعلق بإلحاق القيروان وسائر النواحي بتونس، ومن أجل أن يقوم أمير الأمراء علي، دام إقباله بإدارتها، صدر أمرنا مجددا بهذا الخصوص وأرسل إليه.

عند الوصول وبموجب الأوامر الشريفة السابقة المرسلة إليكم، تكون مراجعتكم الإدارية مع المشار إليه علي دام إقباله. وفي هذه السنة المباركة تقرر إرسال الأسطول الهمايوني لملاحقة البندقيين الملاعين ورئيسهم ديان (Duan)، وبعد تبديد شملهم بعناية الله تعالى سوف ترسل الأسطول إلى تلك الأطراف لتطهيرها من رجس الأعداء وبالوجه المناسب، وذلك هدفي ومرادي. ولكن الذي يصل إلى الأسماع الآن، إن هدف الأعداء من البندقيين والإسبان هو احتمال الاستيلاء على تلك الأطراف وحلق الوادي. وبهذا الخصوص ننبه وتؤكد على اليقظة وإحضار جميع المستلزمات والمهمات الحربية في القلاع، ولتستعدوا للمواجهة ودفع مضرة هذا الأسطول المهزوم، إذا ما حاول القدوم إلى تلك الجهة مستعينين بعساكر الولاية المحلية، وابذلوا ما وسعكم من جهد لإلحاق الضرر بهم، وقد تم إشعار وزيري برتو باشا أدام الله تعالى إجلاله، وعلي دام إقباله وأمير العرب دام إقباله، بأن يستمعوا إليكم حتى يقع الانتباه للأعداء الخاسرين. وهكذا انتم كذلك، فلتيقظوا وتبصروا ولتتابعوا أحوال الأعداء و اطوارهم وأن تستخبروا عن فكرهم الفاسد وخيالهم الكاسد، ...واتخذوا الإجراءات المناسبة بعد التشاور معهم "[1].

[1] – الأرشيف العثماني مهمة دفتري رقم 14 ، ص 62 بتاريخ 27 محرم 979 هـ / 21 جوان 1571 م ، عبد الجليل التميمي : **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي : المرجع السابق** ، ص 199 .

استفاقت الدولة العثمانية على نتائج الحملة المسيحية ، التي تلت هزيمة الأسطول العثماني في معركة ليبانت 1571 م و شعرت بالأخطار التي تهدد وجودها في المغرب ، فكانت ردة فعلها تنظيم حملة سنة 1573 م لتحرير تونس بقيادة الصدر الأعظم سنان باشا و حققت الحملة انتصارا ساحقا على الإسبان، و بذلك أصبحت تونس في قبضة العثمانيين [1] .

ثالثا : الجهاد البحري العثماني ضد القراصنة الإسبان :

تعد القرصنة و الجهاد البحري من أهم عوامل محركات العلاقات بين الدولة العثمانية و أوروبا المسيحية خاصة في القرن(10 هـ / 16 م) ، فمن خلال الحروب التي شنتها أوروبا المسيحية على الدولة العثمانية و استيلائها على بعض المناطق الإسلامية ، لذا حث السلاطين على الرد على القرصنة و الجهاد ضدهم و أكدوا عليه .

كما أنهم سعوا لتحرير بلاد المغرب و الأندلس و شجعوا الجهاد البحري و أصدروا أوامر و أحكام لحكام الإيالات على ذلك للإعلاء الإسلام و المسلمين . فبعد احتلال الإسبان لبلاد المغرب العربي ركزوا على السواحل الجزائرية لموقعها الاستراتيجي و المناسب الذي يمكنهم من تطويق كامل البلاد .

طلب مسلمي المغرب الدعم و النجدة من العثمانيين ، في ذلك الوقت كان خير الدين رائد البحر. حيث جهز الأسطول العثماني لمواجهة الأسطول الإسباني و توجه إلى الجزائر لمساعدتها ضد أي هجوم متوقع من الإسبان ، و بفضل جهوده ازداد الأسطول العثماني أضعافا عما كان عليه سابقا اصبح يمتلك 100 قادرغة علاوة على السفن الأخرى و لهذا وجه بعضها إلى سواحل إسبانيا و الأخرى إلى صقلية [2].

و بسبب هجمات العدو المتتالية ضد العثمانيين و استيلائهم على بعض من ممتلكاتهم ، أمر السلطان العثماني حكام الإيالات بالاستعداد للقيام بحملة لصدهم و الانتباه من غدرهم

[1] – دلندة الأرقش و آخرون : **المرجع السابق** ، ص 54 .

[2] – عزيز سامح آاتر : **المرجع السابق** ، ص 167 .

لما في ذلك من خطر على المملكة ، و أنهم يسلبون جانب المسمين لذا أكد عليهم شن هجمات عليهم و إلحاق الخسائر بهم سواء بشرية أو مادية ، و في رسالة موجهة إلى أمير

أمراء الجزائر حسن بن خير الدين ورد فيها ما يلي :

" .... أصدرنا أمرنا بخروج الأسطول الهمايوني في الربيع إلى البحر ، و عليك بالاستعداد لتلتقي بالأسطول الهمايوني لذا نأمرك حال وصول أمرنا الشريف هذا ، بالقدوم مع سفن الجزائر و الالتحاق بالأسطول ، لاحتمال تعرض الأعداء في ذلك الجانب للملكة و الولاية .... و أمام ضرر محتمل ، يجب أن تكون حاضرا و مستعدا ، فإذا تمكنت إسبانيا من سلب سفن الجانب الآخر ، فإنك قادر كذلك على سلب الجانب الإسباني ، و شن الغارة عليه و إلحـــاق الخسائر به ...."[1]

و كذا في سنة 1571 م قبيل معركة ليبانت كان الإسبان يقومون بالإغارة على سواحل المتوسط و يلحقون بها خسائر تعود بالضرر على الدولة العثمانية و إيالاتها ، فلذا أكد السلطان العثماني على حكام الإيالات متابعة الأسطول الإسباني لمعرفة خططهم و نواياهم مع أخذ الحيطة و الحذر، كما أمرهم بشن هجمات و غارات عليهم و إلحاق الضرر بهم و إفشال عدوانهم ضد الإيالات ، و قد أرسل السلطان العثماني في هذا الشأن حكم إلى علي باشا و آخر إلى برتو باشا للتصدي للأسطول الإسباني و إلحاق الضرر به و هذا ما ورد فيهما :

حكم إلى علي باشا :

" ...نأمرك عند وصول حكمنا، أن تكون بكامل البصيرة والانتباه، وعلى لسان واحد وجهة واحدة، مع وزيري المشار إليه برتو باشا... وعليه اعملوا بالإقدام والاهتمام على إلحاق الخسائر بأساطيل العدو الكافر وبـجزره .... ثم راقب جيدا طريق الجزائر و تونس

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 5 ، ص 25 بتاريخ 25 رجب 973 هـ / 15 فيفري 1566م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 179 .

و قم بجمع الأخبار عن تحركات العدو ، و إذا قدم عدو مثل بدرو بأسطوله ، و تجرأ بالتعرض و مباشرة العدوان فلا تتأخر بإرسال ما يردك من أخبار صحيحة عن ذلك . ...تحرك بسرعة لدفع الضرر و الأذى و ابذل ما بوسعك من جهد و اهتمام بهذا الخصوص " [1].

أمر إلى علي باشا :

" .... وقد وصلتنا رسالة فليج علي، حول أخبار مسلمي الأندلس وما هم عليه من مقاتلة وجدال صد الكار، وكيف أنهم يبدلون النفس والنفيس المثال، ورغم ذلك فليس لديهم الطاقة الكافية لمحاربة هذا العدو، واصبحوا في حالة قهر واضحة، وقلة الأخيرة الحربية للاستمرار في حربهم ضد إسبانيا .... لذلك نأمركم بمتابعة سلطان إسبانيا اللعين و إلحاق الهزيمة بسفنه و خاصة أنه ينوي إلحاق الضرر و الخسارة بالسواحل التونسية و الجزائرية ...و عليك بترتيب الجيش و العمل على الإغارة على الجزر و السواحل التابعة للعدو و إنزال الخسارة و الضرر بها...." [2]

بعد الأعمال الجليلة التي قام بها علج علي في مساندة مسلمي الأندلس و كذا ضم تونس وطرد السلطان الحفصي حليف الإسبان و غيرها ثم عودته للجزائر بعدما أوكل المهمة لنائبه رمضان باشا [3].

لذا و بعد إرسال أعيان مندجل رسالة إلى السلطان العثماني حول هجمات العدو وقد كلفه بتجهيز بعض السفن و التحرك من تلك الجهات لاحتمال هجوم العدو عليها لأن

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفاري** رقم 10 ، ص 14 بتاريخ 3 محرم 979 هـ / 28 ماي 1571 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 191 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 12 بتاريخ 3 صفر 979 هـ / 27 جوان 1571 م / **نفسه** ، ص 190 .

[3] – المنور مروش : **المرجع السابق** ، ص 139 .

الإسبان و البنادقة يخططون لذلك ، لصد عدوانهم و لإفشال خططهم ، و جاء في نص الرسالة الموجهة إلى علج علي ما يلي :

" أرسل أعيان مندجل " رسالة إلى عتبتنا العالية، تتضمن معلومات ومطالب، والمطلوب منك الآن أن تفتح عينيك وأذنيك على تلك الجهات، وتقوم بالمعاونة مع هؤلاء الناس إذا كان هناك احتمال قيام العدو بالتعرض لتلك الجهات والاستيلاء عليها وإلحاق الخسائر بها، يصبح من الواجب والضروري، استخدام سفن اللوند الموجودة لديك وعلى أن تتحرك مع القبطان دام إقباله إلى تلك الجهات لدفع مضاره وفساد الأعداء ضد المسلمين ...."[1]

رابعا– اعتماد الأسرى كعامل ضغط بين الدولة العثمانية و إسبانيا :

بسبب الصراع الناتج بين الطرفين الإسلامي و المسيحي و التنافس في الاستيلاء على بلاد المغرب الإسلامي الذي نشأ عنه صراع عسكري و سياسي و اقتصادي و كذا ديني و الذي تحكمت فيه جملة من المحركات و من بينها الأسرى باعتبارهم من نتاج المعارك البحرية ، و لهم أهمية على الصعيد الاقتصادي لذا اهتم السلاطين العثمانيين بهم و أصدروا أوامر بشأنهم .

و من المؤكد أن اهتمام السلاطين بالأسرى يدخل ضمن مصالحهم لذا حثوا و أمروا بإرسالهم للباب العالي مع تسجيل عددهم في دفتر و إمضائه و لتسهيل تلك المهمة .

جهز السلطان بعض السفن للقيام بمهمة في الإرسال مما يؤكد على اهتمام السلاطين بهم دلالة على انتصار السلاطين في المعارك التي كانوا يخوضونها أو يكلفون بعض البحارة المناسبين لخوضها .

و قد كانت السفن العثمانية التابعة للولايات العثمانية في الشمال الإفريقي تجوب البحر المتوسط و تغير على سفن الأعداء و الدول المعادية و تغنم منها أموالا و أسلحة و تأسر

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 14 ، ص 200 بتاريخ 3 صفر 979 هـ / 27 جوان 1571 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 200 .

رجالها حيث كان يتم فرزهم في قسم و يسمى " حصة الميري " التي وجه السلطان العثماني إلى بكلربكلي الجزائر أمرا لنقل الأسرى الموجودين عنده إلى استانبول [1].

و الذي أكد عليه السلطان العثماني أثناء إرسال الأسرى لا بد من حماية و حراسة السواحل من أي هجوم مباغت رغبة من العدو أخذ أسراهم إذا سنحت لهم الفرصة ، لذا فقد أوكل السلطان المهمة لبعض الرجال كبيال باشا [2] مع بعض السفن لضمان وصولهم في أمان .

و جاء في نص الحكمين ما يلي :

" ...لقد سبق وأخبرتم بأنكم سوف ترسلون أسرى إلى الباب العالي. ومن أجل تسهيل قدومهم إلى استانبول، فقد تم تعيين 10 سفن قادرغة من الأسطول العثماني الموجود في عرض البحر والمتشكل من 67 سفينة، ولتجهيز تلك السفن العشرة، تم إرسال أمرنا الشريف إلى أميرال السلطان العثماني بيال باشا، بنقل هؤلاء الأسرى وإرسالهم إلى الباب العالي وتسجيل عددهم في دفتر خاص و امضائه "[3] .

" هذا حكمنا الشريف موجه إلى بايلرباي إيالة الجزائر : قد تم إعلام الباب العالي بأنه سوف يصل عن قريب بعض الأسرى المرسلين من إيالة الجزائر ، و عليه و من أجل حفظ و حراسة السواحل و ضمان وصولهم دون خوف من هجوم الاعداء ، فقد تم تعيين 10 سفن من نوع قاردغة ، مع رجال يعتمد عليهم لجلب هؤلاء الأسرى إلى استانبول و نأمرك بالاحتياط من أي اعتداء من طرف العدو و ضد هؤلاء الأسرى المرسلين " [4].

---

[1] – فاضل بيات : **المرجع السابق** ، ص 273 .

[2] أرسل السلطان العثماني أمرا لبيال باشا من أجل إرسال الأسرى لإستانبول ، انظر: الملحق رقم 03 .

[3] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 3 ، ص 315 بتاريخ 6 رجب 967 هـ / 2 افريل 1560 / عبد الجليل التميمي ، ص 175 .

[4] – الأرشيف العثماني : **نفسه** ، ص 175 .

و كان علج علي يجهز و يبذل ما بوسعه لإنقاذ تونس و تحريرها من طوق الإسبان .

خاصة بعدما اتصل به أبي الطيب الخضار وزير السلطان الحفصي أبا العباس فهاجم تونس و هزم الحفصيين في سهل باجة ، فقد اغتاظ الإسبان و البرتغال من ذلك لأنهم رأوا فيه تهديد لمصالحهم في المضيق الصقلي [1].

و في أثناء أعمال الأسطول الهمايوني البحرية صادف عند عودته سفن تحمل أحد أقارب الملك الإسباني و نظرا للعداء بين الطرفين فقد أمر السلطان العثماني بايلرباي إيالة الجزائر علج علي بإلقاء القبض عليه و أكد عليه ذلك و حذره من أن يفلت من يديه . و جاء في الرسالة ما يلي :

"أمر إلى أمير أمراء جزاير غرب :

أثناء عودة اسطولنا الهمايوني وصل إلى سمعنا ، أن صادف في الطريق ثلاث قطع بحرية من نوع قادرغه ، تحمل أحد أقرباء ملك إسبانيا . لذا نأمرك بإلقاء القبض عليه ، و يجب أن لا يفلت من يديك ، و قم بكافة الإجراءات الاحتياطية في هذا الجانب . و من أي نوع كان ؟ فهو عدو ، و مهما تكن درجة قرابته من ملك إسبانيا ، فهو من نسله و من رجاله . أعلمني بذلك و أعرضه على سعادتي ، و كن على درجة عالية من الاهتمام لإلقاء القبض على الشخص المذكور" [2] .

و في سنة 1572 بعد هزيمة المسلمين في معركة ليبانت بسبب التحالف الصليبي ضد الإسلام .

[1] – مُحَمَّد خير فارس : **المرجع السابق** ، ص 49 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 14 ، ص 274 بتاريخ 17 ربيع الاول 978 هـ / 19 اوت 1570 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 200 .

و التي لعب فيها علج علي دورا بارزا بحيث تمكن من إنقاذ 40 سفينة بمناورة بارعة و حصل بذلك على لقب قبطان باشا الأسطول العثماني [1] .

كما أنه استطاع الحفاظ على السفن التي غنمها الجزائريون و من بينها سفينة تحمل علم البابا [2] .

و بعد كل هذه الأعمال و الغنائم التي حصل عليها الجزائريون و التي شغلت بال السلطان العثماني لذا أصدر أمرا إلى حسن باشا الذي لم يكن حاكما في تلك الفترة

يؤكد عليه إرسال الأسرى الكفار إلى استانبول من أجل عملية إحصائهم و فرزهم فيما يسمى بحصة الميري .

و نص الرسالة الموجهة إلى أمير أمراء الجزائر السابق حسن باشا كما يلي :

"....في المعركة البحرية التي وقعت أثناء الحملة السابقة التي قام بها الأسطول الهمايوني وتمكن أمير أمراء الجزائر علي، دام إقباله من السيطرة على بعض مواقع مالطة، قام عدد من الأعداء بالهروب إلى البحر، ودخلوا إلى سفينتك وبها 6 أنفار وما بين 30 و40 نفر آخرين. وعلمنا أنهم الآن لديكم. لذا نأمركم بتسليمهم لأجل الميري. وعند وصول أمرنا هذا وبدون تأخير وبموجب أمري الشريف، سلموا الكفار المذكورين والموجودين في سفينتك وإيداع ذلك إلى إدارة الميري وبدون مماطلة أو تسويف، كما وقوموا بتدوين أسمائهم في سجل، مع توجيه السجل إلينا أيضا "[3].

[1] – محمد خير فارس : **المرجع السابق** ، ص 50 .

[2] – أحمد المدني : **المرجع السابق** ، ص 398 .

[3] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 120 بتاريخ 2 شوال 979 هـ / 17 فيفري 1572 / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 194 .

خلاصة الفصل :

و من خلال هذه الأوامر و الأحكام السلطانية تدل و تؤكد على اهتمام السلاطين العثمانيين بالإيالات المغاربية التي سعوا جاهدين لحمايتها و تحريرها من العدو ، كما أنهم استفادوا من الحكم فيها لما غنموه في المعارك التي جرت فيها و كذا من خيراتها الموجدة ،و تمكنوا بالفعل من إلحاق دول المغرب العربي بمملكتهم الكبرى عدا المغرب الاقصى و موريتانيا بعدما كانت تعاني من ويلات العدو و عدوانه و تخبطها في غياهبه .

و نظرا لموقعها الاستراتيجي والحيوي القريب من العدو المسيحي ما جعلها محل اهتمامهم لما فيه من تسهيلات لمهاجمة أعدائهم و كذا في توسيع رقعتهم الجغرافية .

الـفـصل الـرابع: علاقات الدولة العثمانية بمالطا و الدويلات الإيطالية في النصف الثاني من القرن 10 هـ / 16 م

المبحث الأول : علاقة الدولة العثمانية بمالطا

المبحث الثاني : علاقة الدولة العثمانية بالدويلات الإيطالية و أثرها على إيالات المغرب العثمانية خلال النصف الثاني من القرن (10هـ / 16م)

وسعت الدولة العثمانية رقعتها الجغرافية مشرقا و مغربا في أوروبا و آسيا و كذا إفريقيا بضم بعض البلدان منها ، ما مكنها من تزايد قوتها و أكسبها مكانة عالمية كبيرة .

و قد أدى هذا لبعض الدول الأوروبية من التقرب منها و ربط علاقات معها للحفاظ على مصالحها و ضمان سيرها بالشكل المناسب ، و من هذه الدول : مالطا و بعض دويلات إيطاليا ، و التي خصصت لها هذا الفصل .

المبحث الأول : علاقة الدولة العثمانية بمالطا

بعدما مد الأوروبيون أنظارهم إلى بلاد المغرب العربي و هجموا عليه وارادوا تحويله لبقعة مسيحية انتقاما من المسلمين ، باحتلالهم لبعض الثغور المغربية السالفة الذكر كالمرسى الكبير و شرشال و جربة و تاجوراء و غيرها ، لذا فقد تدخل العثمانيون لنصرة الإسلام و المسلمين و خاصة عند طلب سكان بلاد المغرب ذلك لصد ذاك العدوان .

فموضوع العلاقات هذا يتضمن بعض العناصر يجب ذكرها لذا قسمته الى :

أولا : الحملات الأوروبية على الدولة العثمانية و إيالاتها

ثانيا: التحرشات البحرية الأوروبية بالدولة العثمانية و إيالاتها و جهاد المسلمين ضدهم

ثالثا : تبادل الأسرى بين السلطنة العلية و دول غرب أوروبا

أولا – حملات مالطا على الدولة العثمانية و إيالاتها :

من المعروف أن الدولة العثمانية كانت تحمي بلاد المغرب من هجمات أوروبا المسيحية التي جندت كل قواها لاحتلال بلاد المغرب الإسلامي ، و لصد تلك الهجمات نظمت الدولة العثمانية حملات لذلك ، و هذا ما جعل أوروبا تنتقم من العثمانيين و تقوم هي الأخرى بحملات كبيرة على الدولة العثمانية أو إيالاتها ، و لهذا كان السلاطين ينبهون حكام الإيالات من هذا العدوان .

كان النصارى المسيحيين يغيرون على المسلمين انتقاما منهم و استيلاءهم على أكبر عدد من المستعمرات و من بينهم فرسان مالطا او فرسان رودوس و قد كانوا حلفاء لإسبانيا لذا مارسوا ما كانت تمارسه إسبانيا ضد الدولة العثمانية و إيالاتها في المغرب .

و قد كثر عددهم (فرسان مالطا) في البحر المتوسط للاعتداء على المسلمين فقد كانوا يقطعون طريق الحجاج إلى مكة اذا ذهبوا في البحر ،لذا فكر السلطان العثماني فتح رودوس ذفي سنة 1522 م ، و سير إليها الأسطول العثماني عليه ألف مقاتل ، و ضيق الحصار على رودس و والى عليها الهجمات مدة تقرب الشهرين دون انقطاع [1].

مما أدى بهم ترك الجزيرة و التجأوا إلى شيفتافكيا ، و قد رغبوا في استعادة رودس أو الاستقرار في أي جزيرة من جزر البحر المتوسط ليتمكنوا من استئناف نشاطهم الصليبي ، و بعد مفاوضات طويلة توصل الأوروبيون إلى اتفاق نهائي وقع عليه الإمبراطور شارل الخامس في 24 مارس 1530 الذي قرر فيه التنازل عن طرابلس الغرب لفرسان مالطة [2] .

و قد تركها لهم و لكنها بعدما أقام خير الدين باربا روس مركزا في تاجوراء كان في اشتباكات متواصلة مع الإسبان في مدينة طرابلس الغرب إلى أن تمكن من تخليصها من هؤلاء الأجلاف المتعصبين [3].

و باعتباره ملك صقلية تخلى عن جزيرتي مالطا و قوزو إضافة إلى مدينة طرابلس و قد شن هؤلاء الفرسان حربا ضد تاجوراء ، و بعد حملة شارلكان الذي تمكن من إرجاع مولاي الحسن إلى ملكه ،

حيث توحدت جهود الإسبان و جهود فرسان مالطا ضد طر ابلس الغرب [1].

---

[1] – شكيب أرسلان : **المرجع السابق** ، ص ص 151 – 152 .

[2] – إتوري روسي: **طرابلس تحت حكم الإسبان و فرسان مالطا** ، تر: خليفة مُحَّد التليسي ، المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان ، ط1 ، طرابلس ، 1969 ، ص ص 50 – 52 .

[3] – محمود ناجي : **تاريخ طرابلس الغرب** ،تر: عبد السلام أدهم و مُحَّد الاسطى ، منشورات الجامعة الليبية كلية الأدب ، بيروت ، (د . س . ن) ، ص 146 .

و بالفعل تمكن فرسان مالطا و بدعم من الإسبان امتلاك طرابلس الغرب و احتلالها .

لذا سعى العثمانيين في تحرير طرابلس من وطأتهم ، و لرد هجماتهم و حملاتهم عملوا على حصارهم و تضييق الخناق عليهم .

كما حرص العثمانيون من خلال هذه المرحلة لتأمين املاكهم في حوض البحر المتوسط وعلى سواحل ولاياتها المطلة عليه ، وقد شكلت جزيرة مالطا حجر عثر لخطة الدولة العثمانية في ذلك لذا ارتأوا ضرورة فتحها [2].

و قد أصدر السلطان سليمان القانوني إلى حسن باشا و درغوث و علج علي و غيرهم من المسؤولين في الأقطار المغربية للقيام بحملة مالطا بقيادة الصدر الأعظم مصطفى باشا و إلتحق بهم من الجزائر 40 قادسا و سفن بقيادة حسن باشا و إلتحق بهم درغوث بأسطوله و جيشه و استولوا على حصن سانت إيليم ، و بوفاة درغوث باشا هناك و قلة المؤن ، و وصول النجدات من إسبانيا لفرسان مالطا و قلة التنسيق تم رفع الحصار عن مالطا و لم يتم فتحها [3] .

الأمر الذي دفع السلطان لإصدار هذا الحكم هو أن جزيرة مالطة أصبحت معقلا للكفار حيث كانوا يشنون هجماتهم على المسلمين عامة و إيالات المغرب العثمانية خاصة لحقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين لذا أمر السلطان بحصار تلك الجزيرة و فتحها و أكد على تعاون بايلربايات الإيالات لإنجاح هذه الحملة مع أخذ الحيطة و الحذر من العدو ، و خوفا منهم على مصالحها .

و هذا ما جاء في النص :

---

[1] – شارل فيرو : **المرجع السابق** ، ص 87 .

[2] – سيد مُحَمَّد السيد محمود : **تاريخ الدولة العثمانية (النشأة – الازدهار) وفق المصادر العثمانية المعاصرة و الدراسات التركية الحديثة** ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2002 م ، ص 281 .

[3] – المنور مروش : **المرجع السابق** ، ص 137 .

" لقد تم إرسال هذه العريضة مع مصطفى باشا لإخباركم بحالة جزيرة مالطة والتي أصبحت معقلا للكفار الذين يلحقون خسائر كبيرة وأضرارا بالغة بالحجاج القادمين من مصر، كما ويعملون على قطع طرق التجارة العثمانية في المتوسط، فالواجب الديني يدعو إلى ضرب هؤلاء الأشرار. وقد عزمت على الغزو وفتح معقل الكفار لتفادي هذا الضرر تماما على الديار الإسلامية. وقد أمرنا بايلرباي إيالة الجزائر ببالة باشا بالالتحاق بالأسطول العثماني الذي سوف يتم تجهيزه للخروج في تلك الحملة في شهر النورس (أي 21 مارس) في الربيع.... لذا عليكم بتحضير العتاد والرجال

والالتحاق بالأسطول العثماني في الوقت المحدد، وإخبار كل الجنود والمتطوعين بالأمر السلطاني و الاهتمام به وبذل المجهود لذلك" [1].

بعد الجهود التي قام بها علج علي في حرب جربة و شن هجومات عليها و ألحق خسائر فادحة بالإسبان و حقق نصرا عظيما فقد عينه السلطان العثماني بايلرباي على طرابلس الغرب [2].

و بعد تلك الحادثة و الخسائر التي الحقت بهم ، وحد الإسبان و حلفائهم مالطا و نابولي جهودهم ضد طرابلس الغرب لذا نبه السلطان العثماني بايلرباي إيالة طرابلس الغرب في الاحتراس و الحيطة من هجماتهم ،بترتيب و جمع وحدات السفن و الالتحاق بالأسطول العثماني لمواجهتهم و لصد غاراتهم و ما ورد في الحكم الموجه إلى بايلرباي طرابلس الغرب علج علي في ذلك الوقت :

" .... أن الكفار (إسبانيا) قاموا بجمع سفنهم و مراكبهم إلى جانب سفن نابولي ، على أساس أنه في حالة عدم خروج الأسطول العثماني في هذا الموسم ، ينوون إلحاق الضرر بطرابلس الغرب

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 6 ، ص 266 بتاريخ 29 جمادى الثانية هـ / فيفري 1565 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص ص 180 – 181 .

[2] – عزيز سامح التر : **المرجع السابق** ، ص 224 .

.... ، نأمرك . بجمع وحدات السفن التابعة لكم بأكملها و ترتيبها و تحضيرها ، و لما تصلكم أخبار عن اقتراب ورود الأسطول العثماني ، فعليكم بالالتحاق به و الاتحاد معه و الاستعداد بالوجه المناسب لملاقاة الأعداء...." [1]

و من بين الحملات الموجهة ضد الدولة العثمانية و إيالاتها كذلك حملة دون جوان .

عندما عاد علج علي للجزائر بعد غزوته وجد فرمانا سلطانيا يقضي بالتصدي لأسطول دون جوان دوتريش ، رفقة بعض سفن رياس البحر الجزائريين و بعض السفن التابعة له ، و لما علم جعفر باشا بأمر اتحاد الكفار لشن هجمة ضد تونس أخبر علج علي بذلك [2].

ومن خلال هذا وجه السلطان العثماني أمرا لبايلرباي إيالة طرابلس الغرب جعفر باشا يدعوه فيه لحماية و حراسة المملكة و الولاية بتعمير القلاع و تحصينها لأن العدو يجهز أسطوله و يحشد قواته لضرب تونس للاستيلاء عليها ، و ورد في الحكم ما يلي:

" ذكرت في رسالتك المرسلة إلى عتبة سعادتنا، أن العدو قام بحشد وتوحيد قواته الحربية لمحاصرة قلعة تونس وسائر القلاع دفعة واحدة، وأنك تستعجل إرسال الأسطول الهمايوني وضرورة وصوله.... وأن القبطان دون جوان الذي يتولى الآن تنظيم أسطول الأعداء.... وإذا لم يصل الأسطول لهمايوني إلى هناك، فمن المقرر سقوط قلعة تونس بأيدي الأعداء .... والذي أمر به حال وصول أمرنا الشريف : أنت أيضا تقيد كما يجب، فكن مجدا وشجاعا في حفظ المملكة والولاية وحراستها، وقم بتعمير وترميم كل قلعة تحتاج إلى ترميم وخصوصا القلاع المواجهة للعدو، وجهزها بالمدافع والذخيرة والمهمات الحربية، وامسكها في كل الأوقات...." [3]

---

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 7 ، ص 512 بتاريخ 25 ذي القعدة 975 هـ / 21 جوان 1568 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 184 .

[2] – عزيز سامح التر : **المرجع السابق** ، ص ص 229 – 230 .

[3] – الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 14 ، ص 1035 بتاريخ 10 محرم 979 هـ / 4 جوان 1571 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 201 .

كانت تونس تعاني من أوضاع مزرية أثناء حكم آخر الأمراء الحفصين .

و كره أهالي تونس السلطان "حميدة " بسبب تحالفه مع الإسبان ، و قد تواجه مع قلج علي في باجة ، حيث تخلى عنه العساكر و التحقوا بالجزائريين ، و قد اضطر لفرار لتونس فوجد أبوابها مغلقة فالتجأ إلى الإسبان في جالطة [1].

و عند فراره إلى مالطة فمن من المؤكد أن يستعين بهم و يتحالف معهم للعودة لحكم تونس مقابل استيلائهم عليها ، و بعد سنوات أصدر السلطان العثماني أمر بايلرباي إيالة طرابلس الغرب يبين فيه أن السلطان الحفصي يتحالف مع أعيان الإيالة و يؤيد حركة التمرد و العصيان ضد العثمانيين و بدعم من الإسبان بمالطا لأنه حليفهم رغبة منه في حكم تونس من جديد ، لذا أكد السلطان العثماني على بايلرباي طرابلس الغرب جعفر باشا ضرورة تحضير الجيش و المعدات اللازمة في هذه المواجهة و الالتحاق بأميرال الدولة العثمانية علج علي ، و جاء في نص الأمر ما يلي:

" .... **نعلمك بأن أحد أولاد الحكام التونسيين (الحفصيين) حميدة، قد التجأ إلى مالطة وبعد تحضير العدة للعودة من جديد إلى تونس، وقام بتحالف مع أعيان هذه الإيالة، ومراسلة العربان العصاة للقيام بالتمرد وثورة ضد الأتراك وقد تحقق أن مالطة سوف تقدم العون والمساعدة اللازمة لتحقيق نجاح هذا التمرد، ولاستيلائه مرة أخرى على تونس . وأمام هذا الوضع، فقد أمرنا أميرال الدولة العثمانية ووالي الجزائر قليج علي باشا، بتحضير كل ما هو ضروري ومناسب لمساعدة بايلرباي تونس وصد أي هجوم يقع عليها. فالمطلوب كذلك منكم، تحضير كل الجيش والمعدات وعدم التأخر في تقديم المساعدة إلى الإيالة التونسية ....**" [2]

و حتى بعد ذلك الوقت لا زال الحفصيين في تحالف مع الإسبان .

[1] – عزيز سامح التر : **المرجع السابق** ، ص ص 228 – 229 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 29 ، ص 85 بتاريخ 3 رجب 984 هـ / 26 سبتمبر 1576 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 236 .

فعند نجاح العثمانيين في الاستيلاء على حلق الواد و حاصروه حصارا محكما مما دفع الإسبان للفرار للبستيون و معهم السلطان الحفصي مُحَمَّد بن الحسن ، و قد توجه العثمانيين إلى البستيون و ضيقوا الحناق على أهلها ، و شدد سنان باشا في حصاره على البستيون حتى استطاع فتحه ، الأمر الذي أدى بالحفصيين اللجوء إلى صقلية بالتوسل و الإلحاح لملوك إسبانيا رغبة منهم في استرجاع ملكهم ، و استغل الإسبان هذه الفرصة لخدمة مراميهم السياسية ، لكن بعد سقوط تونس في قبضة العثمانيين قضى على آمالهم في إفريقيا [1].

كان الأمراء الحفصيين في تحالف مع الإسبان في مالطا و كذا صقلية رافضين الحكم العثماني لأنهم رأوا أنهم أولى بحكم بلادهم ، كما أنهم شجعوا حركات التمرد ضد العثمانيين الذين بذلوا كل جهودهم في تخليص المغرب منهم ، مما دفع السلطان العثماني سليم الثاني بإرسال أمر إلى بايلرباي إيالة طرابلس الغرب يخبره بما فعل الأمير الحفصي من محاولته للقضاء على النظام العثماني لذا وجب إعلام بايلرباي إيالة تونس ليحتاط و ينتبه لذلك ، مع إرسال حكم لحاكم الجزائر علج علي لمساعدة حاكم تونس ، حيث أرسل السلطان العثماني حكم إلى بايلرباي تونس وآخر لحاكم الجزائر فكان نص الأمر ما يلي:

" .... لقد علم أحد أبناء حكام تونس السابقين (من الأسرة الحفصية) الذي يقيم بمالطة ، قد قام بإرسال رسائل و رجال إلى تونس بهدف جمع الأعراب و شيعته للقيام بالتمرد و العصيان ضد إدارة الحكومة الموجودة ، و وعدهم بقدوم سفن من مالطة لمساعدتهم في التمرد و القضاء على النظام القائم ، و عليه و أمام احتمال قيام العدو الكافر بحملة للاستيلاء على تونس ، نقوم بإبلاغ ذلك إلى بايلرباي تونس ليكون دائما على فطنة و استعداد . كما أرسلنا أمرنا إلى حاكم الجزائر قليج علي باشا ، نطلب منه أن يساعد حاكم تونس و يدبر أمور الدفاع عنها . و عليه لدى وصول أمرنا هذا ،

[1] – علي مُحَمَّد محمد الصلابي : **المرجع السابق** ، ص ص 285 – 286 .

ليكن في علمك بأن خطط العدو هي نافذة و مقررة ضد تونس و نطلب و بدون تأخير إعداد القوات اللازمة و العساكر لحماية تونس من العدوان المخطط "[1] .

أما الحكم الصادر لحاكم الجزائر علج علي في هذا الخصوص فكان كما يلي:

" .... نخبرك بأنه علم من أحد أولاد لحكومة التونسية السابقة (الحفصية) و المقيم بمالطا ، يقوم من هناك بمكتبة لصديقه و أصدقائه ، و كذا العربان للتمرد ضد النظام القائم و وعدهم بالقدوم على رأس حملة تأتي من مالطة لاسترجاع تونس ، و عليه أمام احتمال وقوع هذا الهجوم ، فإننا نأمرك بالتوجه إلى تونس لإصلاح أحوالها الإدارية و ضبط النظام بها مجددا ، و القضاء على المتمردين العصاة و السعي لمساعدة تونس دون تأخير ، و إعلامنا هل هناك حاجة لإرسال قوات جديدة من العساكر أو أن قوتك كافية لمساعدة تونس .... و عليه نطلب منا العمل على تتبع وتجسس أحوال العدو و خططه تجاه إيالة تونس و هذا لمعرفة ظروف الحملة و تجهيز الأسطول لمواجهتها "[2].

سعى العثمانيين في حفظ مملكتهم و الإيالات التابعة لهم وما يؤكد ذلك تلك الأحكام و الفرمانات الصادرة من استانبول إلى حكام الإيالات .

ثـانيا– التحرشات البحرية الأوروبية (دويلات إيطاليا) بالدولة العثمانية و إيالاتها و جهاد المسلمين ضدهم :

تعرضت الدولة العثمانية و إيالاتها لهجمات العدو و المتمثلة في الحملات البرية و البحرية ضدها والتي كان بعض القراصنة يسطون على ممتلكاتها مما دعتهم الضرورة ايضا في ممارسة القرصنة عليهم و حث الحكام على ذلك .

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 42 ، ص 85 بتاريخ غرة رجب 989 هـ / 1 اوت 1581 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 248 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 42 ، ص 86 بتاريخ غرة رجب 989 هـ / 1 اوت 1581 / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص ص 248 – 249 .

وقد كلف السلطان العثماني سليمان القانوني حكام إيالتي طرابلس الغرب و الجزائر بمحاصرة مالطة و لبوا دعوته و أعدوا كل ما لديهم من قوة من أجل إنجاح هذه الحملة[1].

و ليتمكن حكام إيالات المغرب العثمانية من إضعاف جهود الإسبان هناك و كذا ليغنموا بغنائم جراء جهادهم في العدو و لهذا أرسل السلطان العثماني مكتوب إلى أمير أمراء الجزائر يأمره بإعداد العساكر و سفن الأسطول و تجهيزها لخوض معارك ضد العدو و الجهاد فيهم و قرصنتهم ، و ما جاء في نص الامر :

" .... نأمرك حال وصول أمرنا الشريف .... إعداد عساكر الجزائر وسفن الأسطول المتواجدة لديك وتهيئتها.... ، قدم كل الخدمات والمساعي واكتب لنا الأخبار الدقيقة والصحيحة عن العدو وتحركاته على قدر اطلاعك"[2] .

و شكل فرسان مالطا خطرا كبيرا على مصالح الدولة العثمانية و بلاد المغرب الإسلامي، و بما أن مالطا حليفة إسبانيا فمن المؤكد أنها تقوم بما قام به الإسبان ضد المسلمين في شمال إفريقيا ، و نظرا لذلك أكد السلطان العثماني على ضرورة الالتحاق بالأسطول العثماني لفتح معاقل العدو الكافر

و الأمر السلطاني الموجه إلى حسن باشا ينص على:

" .... جزيرة مالطة والتي أصبحت معقلا للكفار الذين يلحقون خسائر كبيرة وأضرارا بالغة بالحجاج القادمين من مصر .... لذا لدى وصول هذا الحكم الشريف ندعوك .... تحضير وتعبئة السفن والعتاد والأعلام والجنود .... والإلتحاق بالأسطول العثماني

[1] – عزيز سامح التر : **المرجع السابق** ، ص 218 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 6 ، ص 263 بتاريخ 29 جمادى الاولى 972 هـ / 2 جانفي 1565 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 180 – 181 .

في الوقت المحدد، وإخبار كل الجنود والمتطوعين بالأمر السلطاني و الاهتمام به وبذل المجهود لذلك " [1]

و غم فشل المسلمين في فتح جزيرة مالطة إلا أنهم قدموا ما لديهم و بذلوا كل الجهود اللازمة في محاربة الإسبان و حلفائهم ، و أفشلوا خططهم و نواياهم ، و لهذا قام السلطان العثماني بشكر عساكر إيالة الجزائر و الفرق العسكرية المرسلة لما قاموا به ضد جزيرة مالطا ، و أكد عليه حفظ و حراسة المملكة ، و ما جاء في نص الحكم الموجه إلى بايلرباي إيالة الجزائر ما يلي:

" ... فيما سبق أظهرت الفرق العسكرية المرسلة ضد جزيرة مالطة مقدرتها و انتصارها ، و كيف تم تحقيق انتصار باهر ضد هؤلاء الأعداء ، بعدما التحقت سفن إيالة الجزائر بهم ، و تم إظهار كل أنواع المعاونة لتحقيق الانتصار و حيث يفتخر الباب العالي بذلك النصر ، مقدرا الشهامة و الخصال الحميدة لتلك العساكر . و عليه لدى وصول هذا الأمر ، ندعوك إلى حفظ و حراسة المملكة ، و ضبط أمورها ، كما ندعوك إلى الاتفاق و الاتحاد مع بايلرباي إيالة طرابلس الغرب ، على و بذل كل الجهود و السعي للقضاء على الظلم و رفعه و العمل على بذل المجهود لإعلاء كلمة السلطان و السلطة "[2].

ثـالثـا – قضية الأسرى بين السلطنة العلية و مالطا :

و كما أسلفت الذكر أن للأسرى أهمية جد كبيرة على مستوى العلاقات بين الأقطار ،كما يمكن من استنباط طبيعتها ،و هذا ما دعا السلاطين يعطونه قسطا من اهتمامهم ، كما أنهم أدخلوه ضمن مسيرة حكمهم .

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 6 ، ص 266 بتاريخ 29 جمادى الثانية 972 هـ / 1 فيفري 1565 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص ص 180 – 181

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 5 ، ص 313 بتاريخ 23 جمادى الثانية 973 هـ / 13 جانفي 1566م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 178 .

من الطبيعي أن تكتفي غزوات بذكر غنائم التي تعتبر حادثا مهما لضخامتها و قيمتها الحربية أو المالية و بعضها يكون مفصلا كثيرا [1] .

فالأسرى جزء من الغنائم ذات القيمة المالية الضخمة ، ما جعل السلاطين يصبون اهتمامهم بهذا الجانب و أمروا حكام إيالاتهم المغربية بإرسالهم إلى الباب العالي و أكدوا على ذلك كما أنهم سهلوا في مهمة إرسالهم ، و في رسالة موجهة إلى بايلرباي إيالة الجزائر حسن باشا جاء فيها ما يلي:

" سبق و أن أرسلت رسالة إلى سدة سعادتي عرضت فيها بأن هناك أسرى يزمع إرسالهم للميري و طلبت إرسال سفن لأخذهم . و قد تم انطلاق أسطولي السلطاني في الوقت الراهن إلى البحر لهذا صدر حكم شريف إلى أمير الأمراء ..بياله ..لإرسال عشر قطع من السفن لهذا الأمر ...و أن تقوم بوضع الأسرى المذكورين في السفن و إرسالهم إلى عتبتي العالية ، و تسجل عددهم في دفتر مختوم و ترسله كذلك"[2].

و قد تحصل بعض حكام الإيالات و رياس البحر أثناء المعارك على بعض الأسرى ، و قد طالب بهم السلاطين باستانبول .

كمعركة ليبانت التي خسر فيها العثمانيين و التي تعد أكبر نكبة للأسطول العثماني .

و رغم ذلك إلا أن علج علي تمكن من قتل قبطان مالطة ، و استولى على سفينة زعيمها و أخذ علمها [3] .

[1] – المنور مروش : **المرجع السابق** ، ص 88 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 3 ، ص 315 ، حكم رقم 924 بتاريخ 8 رجب 967 هـ / 4 افريل 1560 م / فاضل بيات : **المرجع السابق** ، ص 274 .

[3] – عزيز سامح الترـ : **المرجع السابق** ، ص 231 .

و كما أنه تواجه مع بعض سفن مالطا في طريق انضمامه للأسطول الهمايوني و استولى عليها و التي كانت تحمل أحد أقارب ملك إسبانيا ، فقد أكد عليه الاحتفاظ به و عدم إفلاته ، و كما نص الحكم ما يلي :

" .... **سمعنا بمواجهتك لسفن مالطا اثناء إبحارك من جزائر الغرب تجاه أسطولي الهمايوني و أنك تمكنت من الاستيلاء على ثلاث قادرغات منهم و أنه قد تبين وجود أحد أقارب ملك إسبانيا في تلك القادرغات لذا آمرك بالاحتفاظ بذلك الكافر و أمرت :**

و عليك بالمحافظة على المذكور و الحذر من إفلاته و التأكد من هويته و مدى قرابته من ملك إسبانيا و إعلام سدة سعادتنا ..." [1] .

و على هذا الأساس فقد حث السلطان العثماني على إرسال الأسرى إلى الباب العالي و أكد ذلك من خلال أمر أمير أمراء الجزائر السابق حسن باشا بتجميع كل غنائم المعارك كمعركة ليبانت و منها الأسرى ، و إرسالها إلى الباب العالي مع الدفتر الخاص بهم . و نص الأمر الموجه إلى حسن باشا يقول:

" .... **في المعركة البحرية التي وقعت أثناء الحملة السابقة التي قام بها الأسطول الهمايوني وتمكن أمير أمراء الجزائر علي .... من السيطرة على بعض مواقع مالطة، قام عدد من الأعداء بالهروب إلى البحر، ودخلوا إلى سفينتك وبها 6 أنفار وما بين 30 و40 نفر آخرين. وعلمنا أنهم الآن لديكم. لذا نأمركم بتسليمهم لأجل الميري. وعند وصول أمرنا هذا وبدون تأخير وبموجب أمري الشريف، سلموا الكفار المذكورين والموجودين في سفينتك وإيداع ذلك إلى إدارة الميري وبدون مماطلة أو تسويف، كما وقوموا بتدوين أسمائهم في سجل، مع توجيه السجل إلينا أيضا "** [2]

[1] – الأرشيف الوطني الجزائري : **مهمة دفتري** رقم 14 ، صحيفة رقم 274 ، حكم رقم 390 بتاريخ 17 ربيع الاول 978 هـ / 1571 م / تعريب مُحَمَّد داود التميمي .

[2] – الأرشيف العثماني : مهمة دفتري رقم 10 ، ص 120 بتاريخ 2 شوال 979 هـ / 17 فيفري 1572 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 194

و بهذا الشأن كذلك أصدر السلطان أمر لأمير أمراء الجزائر علج علي بإرسال السفن التي استولى عليها بيري رايس بما تحمله على متنها يقول :

" لقد صدر أمري بإرسال القادرغة المالطية التي استولى عليها ... بيري رايس إلى سدة سعادتنا بكافة ما فيها من الأسباب و الكفرة و المدافع و قد أمرت بإرسال القادرغة المذكورة إلى بابنا المعلا .... مع إعلامنا بعدد الكفرة ، و كذلك مقدار الأسباب و الأسلحة المرسلة فيها"[1].

و من خلال هذه الوثائق يتضح أن السلاطين العثمانيين اعتنوا بقضية الأسرى عناية بالغة و الملاحظ أيضا أنهم لم يبينوا هوية هؤلاء الأسرى ، ما جعلني أذكرهم في كل الأقطار التي عرجت عليها .

[1] – الأرشيف الوطني الجزائري : **مهمة دفتري** رقم 14 ، ص 432 ، حكم رقم 614 بتاريخ 22 جمادى الاولى 978هـ 1571 م / تعريب : مُحَمَّد داود التميمي : مرجع سابق .

المبحث الثاني : علاقة الدولة العثمانية بالدويلات الإيطالية و أثرها على إيالات المغرب العثمانية خلال النصف الثاني من الفرن 10 هـ / 16 م

خلال العصر الحديث كان لإيطاليا دور في البحر الأبيض المتوسط و قد شهدت تجاذباته و دخلت في معمعة الحروب و الهجمات و المهادنات مع الدولة العثمانية.

و كما ذكرت في الفصل الأول أن إيطاليا لم تكن موحدة بل كانت عبارة عن مجموعة من الدويلات و الإمارات و التي تضاربت مصالحها و باتت في صراع و نزاع ، و أصبح لكل جمهورية جيش خاص بها ، و من بين هذه الدويلات التي سأتطرق لها في هذا البحث هي : جنوة و البندقية و نابولي .

أولا– جـنـوة [1] :

تعد من إحدى الإمارات الإيطالية و التي شهدت مختلف الأحداث على ساحتها السياسية خاصة بعد سيطرة السلطنة العثمانية على بعض المناطق الأوروبية قصد توسيع رقعتها الجغرافية ومن تلك الفترة بدأت علاقتها بالدولة العثمانية ، ففي هذا العنصر تطرقت إلى عنصرين : القرصنة و الجهاد البحري بين الدولة العثمانية و إمارة البندقية الإيطالية و الثاني الأسرى .

1– القرصنة و الجهاد البحري بين الدولة العثمانية و جنوة الإيطالية :

كانت جنوة خلال القرن الرابع عشر إحدى أهم المراكز التجارية في المشرق .

و كما أنه في سنة 1352 م وقعت جنوة اتفاقية تجارية مع العثمانيين لأنها اعتبرت أهم مركز تجاري بالنسبة لهم .[2]

---

[1] – و هي عاصمة إقليم ليجوريا شمال غرب ايطاليا الميناء الرئيسي لإيطاليا و تتنافس مارسيليا باعتبارها أعظم ميناء في البحر المتوسط ازدهرت إبان حكم الرومان ، أدى نومها كمدينة تجارية و بحرية إلى حروبها مع بيزا و فيينا ، لمزيد من المعلومات **ينظر**: الموسوعة العربية الميسرة : **المرجع السابق** ، ص 1236 .

[2] – خليل إينالجيك : **المرجع السابق** ، ص 193 .

و كغيرها من المدن الإيطالية تمكنت من إنشاء علاقات تجارية في الحوض الشرقي للمتوسط ، و استطاعت التغلغل داخل الحياة الاقتصادية لمناطق أوروبا الجنوبية الشرقية من خلال اكتسابها مستعمرات في البحر الأسود و جزر بحر إيجة و منطقة الأناضول [1] .

و قد اصطدمت جنوة بالسلطنة العثمانية اثناء توسعها في أوروبا و بذلك اغلقت مجال النشاط التجاري في وجه الإيطاليين عندما استولت على موانئ البحر الأسود الشمالية ، و ساعدها في ذلك سيطرتها على الدردنيل [2] .

و فيما بعد قد تحولت من علاقة تجارية إلى عداء و حروب و مواجهات و قد مثلت إمتدادا جغرافيا لبعض الدول الأوروبية و خاصة إسبانيا ، و بطبيعة الحال فإن العلاقات العثمانية الإسبانية اتسمت بالعداء فمن المؤكد أن حلفائها أيضا سينهجون نهجها .

و قد قام اندريا دوريا سنة 1540 بحملة في خليج قابس لمطاردة درغوث و انتشرت سفنه في مياه صقلية و سردينيا شاكا بأنه في جنوة [3].

و قد أقام أندريا دوريا روابط أساسية بين جمهورية جنوة و إسبانيا التي كانت في حاجة ماسة للسفن الحربية لتتولى الدفاع ضد العثمانيين ، و بذلك أصبحت الجزيرة الإيطالية بقيادة أندريا دوريا ضمانا لسيادة شارل الخامس في شبه الجزيرة الإيطالية و الإيبيرية ، كما مثلت خط للدفاع عن اعتداءات المسلمين [4] .

و لهذا نبه السلاطين العثمانيين حكام إيالاتهم من احتمالية هجومهم فيجب الاستعداد و الانتباه و الحيطة اللازمة من عدوانهم ، كما نصت الرسالة الموجهة إلى أمير أمراء الجزائر علي باشا :

[1] – إدريس الناصر رائسي : **المرجع السابق** ، ص 137 .

[2] – ادريس الناصر رائسي : **نفسه** ، ص 137 .

[3] – المنور مروش : **المرجع السابق** ، ص 99 .

[4] – إدريس الناصر رائسي : **المرجع السابق** ، ص 142 .

" ... نأمرك عند وصول حكمنا، أن تكون بكامل البصيرة والانتباه، وعلى لسان واحد وجهة واحدة، مع وزيري المشار إليه برتو باشا، أدام الله تعالى إجلاله، وعليه اعملوا بالإقدام والاهتمام على إلحاق الخسائر بأساطيل العدو الكافر وبجزره ...." [1]

و ظل العداء متواصلا بين السلطنة العثمانية و أوروبا المسيحية و خاصة إسبانيا و حلفائها صقلية و مالطا إضافة إلى بعض الدويلات الإيطالية لذا كان السلاطين باستانبول مرارا و تكرارا يبعثون أوامرهم السلطانية لحكام الإيالات المغربية التي تخص هذا الجانب من الاستعداد للجهاد و تجهيز الأسطول أو الالتحاق بالأسطول العثماني و كذا حراسة الإيالة وغيرها من الأوامر ، و بالنسبة للأمر الذي بعث به السلطان لأمير أمراء الجزائر و كذا أرسلت صورة منه إلى إيالة طرابلس الغرب يقول فيه الالتحاق بالأسطول الهمايوني للجهاد مع تجهيز العساكر و الأسلحة و مستلزمات السفن لحماية الإسلام و المسلمين و رد أذى المسيحيين عنهم ، و النص المرسل يقول :

" .... نظرا لخروج الأسطول الهمايوني إلى عرض البحر للغزو والجهاد في هذه الدفعة، لذا يلزم مشاركة السفن المتواجدة لديك من نوع قادرغه وقالته. وحال وصول أمرنا، هيأ مهمات ومستلزمات السفن الموجودة لديك، والمحاربين وأسلحتهم ومهماتهم الحربية الأخرى، ولا تترك أي نقصان في هذا الجانب، وكن مستعدا. وعند ورود الخبر إليك من قبطاني أمير الجزائر، علي دام إقباله، نفذ أمره بدون تأخير، وكن حاضرا في المكان المناسب المتفق عليه، لملاقاة الهمايوني ، و ابذل كل ما وسعك من جهد لحماية الدين المبين والدولة"[2]

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 14 بتاريخ 3 محرم الحرام 979 هـ / 28 ماي 1571 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 178 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 21 ، ص 211 بتاريخ 21 ذي القعدة 980 هـ/ 25 مارس 1573م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 214 .

2– قضية الأسرى بين الدولة العثمانية و حلفاء إسبانيا :

يشكل الأسرى حجر الزاوية بالنسبة للعلاقات ،بهم يمكن معرفة طبيعة العلاقة بين الطرفين ،كما أن لهم أهمية كبيرة بهذا الشأن ، ما دعا لاهتمام السلاطين العثمانيين بهم.

و من خلال الحروب المستمرة بين العثمانيين و أوروبا المسيحية الذي نتج عنه غنائم من بينها الأسرى و قد أُسر عدد منهم و كذلك إيطاليا فمنهم من أسلموا و دخلوا في سلك الحكم .

ففي المواجهة التي شنها أندريا دوريا على الجزائر 1531 بحيث تلقى مواجهة عنيفة من طرف أهلها ، و تم أسر عدد كبير من رجاله ما اضطره للرجوع ساحبا أذيال الهزيمة[1] .

كما تمكن مراد رايس خلال حربه على كورسيكا 1570 م من أسر عدد من سكانها ، كما تذكر بعض المصادر و الوثائق المحلية عن الغزوات البحرية المغاربية و التي بها ثغرات فمن خلال نتائج مدة ثلاث عقود من الغزوات البحرية في كورسيكا لا يكون أكثر من بضع مئات من الأسرى رغم قرب الجزيرة من الأقطار المغربية و معروفة لدى بحارة تلك الأقطار [2].

خلال العهد العثماني و قع عدد كبير في الأسر من المسيحين عامة والإيطاليين خاصة جراء الحروب ، فأخذوا للجزائر فمنهم من اعتنق الإسلام و اندمج في المجتمع الجزائري و آخرون من الأوربيين غادروا بلادهم الأصلية عن طيب خاطر [3].

و هذا ما جعل اعتناء السلاطين ينصب بشأنهم لما أصدروا من أحكام و أوامر سلطانية فيهم بضرورة نقلهم إلى الباب العالي باستانبول ، و هذا ما نص عليه الأمر :

" .... وقعت أثناء الحملة السابقة التي قام بها الأسطول الهمايوني وتمكن أمير أمراء الجزائر علي، .. من السيطرة على بعض مواقع مالطة، قام عدد من الأعداء بالهروب

---

[1] – إبراهيم سعيود : **علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، شراف : مولاي بلحميسي ، جامعة الجزائر ، 1999 – 2000 م ، 45 .

[2] – المنور مروش : **المرجع السابق** ، ص ص 147 – 148 .

[3] – إبراهيم سعيود : **علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية** ، **المرجع السابق** ، ص 46 .

إلى البحر، ودخلوا إلى سفينتك وبها 6 أنفار وما بين 30 و40 نفر آخرين. وعلمنا أنهم الآن لديكم. لذا نأمركم بتسليمهم لأجل الميري. وعند وصول أمرنا هذا وبدون تأخير وبموجب أمري الشريف، سلموا الكفار المذكورين والموجودين في سفينتك وإيداع ذلك إلى إدارة الميري وبدون مماطلة أو تسويف، كما وقوموا بتدوين أسمائهم في سجل، مع توجيه السجل إلينا أيضا. .." [1]

ثانيا – البندقية[2]

هي واحدة من دويلات إيطاليا و قد مثلت بوابة التجارة في الشرق ، حيث كانت تتم التجارة بين الدولة العثمانية و العالم المسيحي بواسطتها من خلال تأسيس مستعمرات لها في الشرق ، كما مكنتها قوتها العسكرية من الدفاع عن مصالحها في الشرق و الغرب .

و بعد اصطدامها بالدولة العثمانية الذي شكل خطر على تجارتها و مصالحها ما أدى إلى الدخول في حروب بينهما ، إلى أن حدث تغير في علاقاتهما بحيث طلب البنادقة الصلح مع الدولة العثمانية ما زاد في تعقيد العلاقة بينهما .

1– العلاقات التجارية بين الدولة العثمانية و البندقية :

قبل النصف الثاني من القرن 10 هـ / 16 م و بعد معركة لابريفيزا سعت البندقية لطلب صلح العثمانيين ، و رغم تشددهم في شروط الصلح و إطالة المفاوضات ، و كذلك جهود فرنسا لصالح البندقية إلا أنهم في النهاية عقدوا الصلح في أكتوبر 1540 م ، مما جعلها نفقد

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 120 بتاريخ 2 شوال 979 هـ / 17 فيفري 1572 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 194 .

[2] – عاصمة إقليم فينيشا شرق إيطاليا ، تقع على جزر متعددة بالطرف الشمالي للبحر الأدرياتي ، تجري بين الجزر 160 قناة تقطعها مئات الجسور ، سماها الإيطاليون "ملكة البحار" ، و ارتبطت بالقسطنطينية و ارتباطها النظري بالإمبراطورية البيزنطية ، اعترف شارلكان بها كمقاطعة بيزنطية . ينظر : **الموسوعة العربية الميسرة** ، ص 2515 .

أهم مراكز التجارية و مقابل ذلك منح العثمانيين بعض الامتيازات التجارية للبنادقة و التي حافظت على تجارتهم بالشرق و البحر المتوسط [1].

و قد تواصلت العلاقة التجارية بين السلطنة العثمانية و البندقية حتى اواخر القرن 16م و لم تستتب هذه العلاقات نظرا لتدخل أطراف خارجية .

كانت التجارة العثمانية حتى عام 1569 م مع العالم المسيحي الغربي تتم بواسطة الدول الإيطالية و خاصة البندقية ، كونها القوة البحرية الرئيسة في المتوسط فقد بقيت على هذا الحال ولم تحاول الدول المسيحية الأخرى أو الدولة العثمانية تغيير هذه الحالة [2].

حيث سيطرت البندقية على تجارة المشرق و امتلكت إمبراطورية من المستوطنات هناك ، فعلاقتها بالدولة العثمانية اتسمت بالتعقيد خاصة بعد توسع الدولة العثمانية على حساب بيزنطة يعني خسارة مناطق تجارية بالنسبة للبندقية ، و قد منحت بعض المناطق بالمشرق للبندقية و جنوة امتيازات تجارية و التي تحولت إلى حكمهما المباشر الأمر الذي ثار رغبة العثمانيين ذلك أيضا لذا صمموا على إخضاع تلك المراكز بعد سيطرتهم على كامل المنطقة[3].

و نظرا لتذبذب تلك العلاقات و تعقيدها نجد أن البنادقة بعد تخالفهم مع الإسبان تحولت العلاقات بين الطرفين و بدأ التوتر يدب في أوصالها .

وهذا ما سأذكره في العنصر الموالي .

[1] – المنور مروش : **المرجع السابق** ، ص 98 .

[2] – خليل إينالجيك : **المرجع السابق** ، ص 207 .

[3] – خليل إينالجيك : **نفسه** ، ص 208 .

2– الصدام البحري بين حلفاء إسبانيا و العثمانيين في حوض المتوسط :

كانت علاقة البندقية بالسلطنة العثمانية متذبذبة و لم ترسو على طبيعة واحدة ، فأحيانا تتميز بالهدنة و الصلح و منح بعض الامتيازات و أحيانا أخرى يسودها التوتر و الحملات و كذا الاستيلاءات .

إلا أنها فيما بعد تحولت إلى صلح و هدنة لكسب صداقتها للدولة العثمانية رغبة في الحفاظ على مصالحها و تجارتها .

فخلال النصف الثاني من القرن(10 هـ / 16م) تكشفت حقيقة تلك العلاقات الودية التي أظهرها البنادقة للدولة العثمانية خوفا من المساس بتجارتها .

حارب السلطان سليم الثاني البنادقة الكفار من خلال فتوى من شيخ الإسلام بضرورة التحلل من الهدنة بسبب الأعمال التي قام بها القبرصيين الخاضعين للبندقية بمضايقة الحجيج بين استانبول و مصر ، و قد احتل العثمانيون جزيرة قبرص 1570 م و بذلك فقدت البندقية أكبر محطة تجارية [1].

و من خلال قيام الدولة العثمانية بهذه الحملة ضد قبرص أمر السلطان العثماني سليم الثاني بايلرباي إيالة الجزائر بالالتحاق بالأسطول العثماني ، كذا كما يجب حراسة المملكة و عدم إغفال جانب العدو المنتظر الفرصة المناسبة للهجوم على الولايات .

و بما أن قبرص كانت خاضعة للبندقية و أن كلا الدولتين تحالفتا مع الإسبان فانه من المؤكد ستقوم برد فعل على حملة الدولة العثمانية ضد قبرص ، وهذا ما أكد عليه السلطان العثماني لحاكم إيالة الجزائر في رسالة له و تنص على ما يلي :

" .... **وعليه نأمرك بالالتحاق به ومساندته في هذه المهمة، فلا تتأخر في تنفيذ هذا الأمر والعمل على حفظ الجزائر بلادا وقلاعا. كما وعليك بتكثير عدد الجنود للحفاظ على أمن البلاد وتجهيز كل السفن وحراسة وآلات الحرب والبحارة، والالتحاق عاجلا**

[1] – إدريس الناصر رائسي : **المرجع السابق** ، ص 134 .

بالأسطول العثماني ثم عليكم بالاتحاد بالقول والفعل والاتفاق معه، كما وعليك بتتبع الفعال العدو والتجسس عليه حتى تتحاشى ان يلحق الضرر بممالكي المحروسة " [1] .

و بعدما وصل خبر قبرص إلى أوروبا ، انضمت البندقية إلى حلف قوى أوروبا إسبانيا و فرسان مالطة البابوية ، و شكلوا الأسطول و خرجوا لمهاجمة الأسطول العثماني و اشتبك القتال بينهم فانتصرت القوات المسيحية ، و قرعت طبول البشائر بهذا النصر [2].

إلا أنه بعد موقعة ليبانتو عادت علاقة البندقية بالدولة العثمانية تتحسن من جديد رغم تحالفها مع أوروبا المسيحية العدو اللدود للدولة العثمانية و خاصة إسبانيا ، و أفضت تلك العلاقات لعقد صلح بينهما .

و رغم هذا النصر لم تستطع البندقية من تجسيد انتصارها للحفاظ على مصالحها ، فتقربت من السلطنة العثمانية و تظاهرت بالود ، و دحلت في مفاوضات مع السلطنة العثمانية و تعهدت بدفع قيمة مالية باسم تعويضات خسائر تلك المعركة [3] .

و بعد تلك المفاوضات عادت العلاقة الحسنة إلى ما كانت عليه من قبل حيث عاد التجار إلى التمتع بامتيازاتهم السابقة ، و من ذلك الوقت أصبح البنادقة يمارسون تجارتهم بحرية في المناطق المخولة لهم من قبل ، كما كان السلاطين يصدرون أوامر و أحكام فيمن يتدخل في شؤونهم أو يتعدى على تجارتهم أو سفنهم ، كما في الأمر الذي وجهه إلى باي ولاية تلمسان مصطفى برقموز بمعاقبة البحارة الذين أغاروا على سفينة بندقية و الأمر ينص على ما يلي :

" هذا حكمنا الشريف إلى حاكم سنجاق تلمسان السابق المدعو مصطفى برقموز. فكما تعلم أنك قدمت بسفينتك إلى ميناء فيروزه حيث تم تجهيز سفينتك، وأعطينا لك اللوازم الضرورية لتجهيزها. وقد أمرنا محافظ هذه المنطقة بأن يستكمل لك بقية آلات

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 12 ، ص 173 بتاريخ 2 ذي القعدة 978 هـ / 28 مارس 1571 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 195 .

[2] – شكيب أرسلان : **المرجع السابق** ، ص 191 .

[3] – إدريس الناصر رائسي : **المرجع السابق** ، ص 135 .

الحرب والعدد الكافي من المجدفين. هذا وإن أهل جزيرة لفقصه التابعة إلى ولاية قارلي والذين هم من الكفار العصاة، قد قاموا بالاعتداء على احدى السفن التابعة للبندقية. وعليه نأمرك بالتتبع والتفتيش على أهل العناد والفساد والقبض عليهم والعمل على حفظ تلك الأطراف، كما وعليك بإعلام الباب العالي حول تفاصيل ذلك العدوان في دفتر خاص" [1] .

فهنا يتضح تذبذب العلاقات و تباينها فمنذ القرون السابقة و هي على هذا الحال توتر فهدنة و صلح ثم مرة أخرى توتر و مواجهات و حروب ثم مهادنة و مفاوضات .

منذ أن أصبحت جزيرة قبرص تابعة للعثمانيين الأمر الذي أثار البنادقة و طلبهم المساعدة من إسبانيا و البابا و جرى بينهم اتفاق للتصدي للسلطنة العثمانية [2].

و في خضم هذه الأحداث بدأ البنادقة بتحرشاتهم بإيالات المغرب العثمانية للانتقام من العثمانيين ، ما دعا خروج الأسطول الهمايوني لمحاربتهم و تأديبهم وما يدل على ذلك :

" .... **الأسطول الهمايوني قد أرسل هذه السنة المباركة لمحاربة الوندكيين الملاعين و عندما تنتهي مهمته هنالك بالتوفيق و الانتصار سوف نوجهه إن شاء الله تعالى لتطهير تلك النواحي و الذي يدخل ضمن إرادتي الشاهانية ...."**[3]

و بعد ما عمله العثمانيين ضدهم من ضم جزيرة قبرص و إعداد الأسطول لمحاربتهم و طردهم من حلق الواد بتونس . فمن خلال قضائهم على ثورة المورسكيين في غرناطة و انتصار

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 12 ، ص 549 بتاريخ 29 شوال 979 هـ / 15 مارس 1572 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 198 .

[2] – إدريس الناصر رائسي : **المرجع السابق** ، ص 83 .

[3] – الأرشيف الوطني الجزائري : **مهمة دفتري** رقم 14 ، ص 62 ، حكم رقم 78 بتاريخ 979 هـ / 1572 م / مجهول .

المسيحية ما جعلهم يبثون نشر المسيحية ضد العثمانيين و لهذا سارعوا في إعداد حملة بقيادة دون جوان النمساوي [1]

3- الأسرى في العلاقات العثمانية الأوروبية :

من الطبيعي أن تكون علاقات عدائية أو متوترة بين أطراف تنشأ بينهم معارك و التي يكون من نتاجها غنائم و تتضمن الأسرى . و قد نال هذا الجانب إهتمام السلاطين العثمانيين . و الوثائق لا توضح هوية الأسرى ولا بلدهم ،الذين أمر السلطان بإرسالهم إلى الباب العالي ، الأمر الذي اضطرني في إعادة نفس الوثائق التي تتحدث بهذا الشأن و في هذا العنصر . ففي المعارك البحرية الدائرة بين الدولة العلية و أوروبا غنم بحارة الإيالات بعض الغنائم ومنها الأسرى.

بعدما استعاد حسن بن خير الدين تلمسان من القوات السعدية قامت إسبانيا إعداد العدة لاحتلال وهران 1558 م ، و قبل دخول الإسبان للمنطقة المنشودة واجههم حسن بن خير الدين و دحر قواهم و استولى على سفن الإمدادات الموجهة لهم و التي تحمل السلاح و المؤن و كذا بعض الرجال و احتجزها [2] .

و قبل عودة علج علي إلى الجزائر ، و أثناء غزوته لضم تونس 977 هـ – 1569 م تمكن من إلحاق خسائر كبيرة بالأعداء فقد استولى على سفن مالطة و قتل قائدها [3]. و كذا أثناء قيام علج على و سنان باشا بحملة لمواجهة دون خوان النمساوي قضوا على الحاميات الإسبانية في تونس كما تمكنوا من أسر الكونت سيربالليون و قد حافظ العثمانيين على حياته رغبة منهم في عملية افتدائه ، و قد طالبت به روما و عرضوا على استبداله بعدد من

[1] – إدريس الناصر رائسي : **المرجع السابق** ، ص 83 .

[2] إبراهيم سعيود : **الأسرى المغاربة في إيطاليا** ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث ، اشرف : عائشة غطاس ، جامعة الجزائر 2 ، 1430 – 1431 هـ / 2009 – 2010 م ، ص ص 43 – 44 .

[3] – عزيز سامح آلتر : **المرجع السابق** ، ص 209 .

الأسرى المسلمين المعتقلين في قصر القديس آنج و من بينهم ابن علج علي باشا الذي أسر في معركة ليبانت [1] .

و ما يؤكد اعتناء السلاطين بالأسرى الموجدين في إيالة الجزائر أمرهم لحكام الجزائر و الإيالات بإرسالهم لاستانبول من أجل إحصاء عددهم و فرزهم ، و الأمر السلطاني الصادر لبيلرباي إيالة الجزائر ينص :

" .... **قام عدد من الأعداء بالهروب إلى البحر، ودخلوا إلى سفينتك وبها 6 أنفار وما بين 30 و40 نفر آخرين. وعلمنا أنهم الآن لديكم. لذا نأمركم بتسليمهم لأجل الميري. وعند وصول أمرنا هذا وبدون تأخير وبموجب أمري الشريف، سلموا الكفار المذكورين والموجودين في سفينتك وإيداع ذلك إلى إدارة الميري وبدون مماطلة أو تسويف، كما وقوموا بتدوين أسمائهم في سجل، مع توجيه السجل إلينا أيضا** [2] .

ثالثا – نـابـولـي [3] :

في أواخر القرن 9 هـ – 15 م كانت فرنسا تطمع في امتلاك إيطاليا ، و نظرا لضعف إيطاليا في تلك الفترة كانت محط صراع بين إسبانيا و فرنسا ، حيث اعتبر ملك فرنسا أن نابولي حق من حقوقه ، و كان يحكمها الفرنسين [4].

أرادت فرنسا ضم نابولي لعرشها فأرسلت جيوشها لغزو نابولي و لكنها لم تستطع لذلك اتصلت نابولي بإسبانيا و دخلت تحت حمايتها [5]. و من منذ ذلك الوقت أصبحت نابولي

---

[1] – الفونص روسو : **المرجع السابق** ، ص 104 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 120 بتاريخ 2 شوال 979 هـ / 17 فيفري 1572 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 194 .

[3] – نابولي دولة سابقة كانت تقع جنوب إيطاليا ، و تشمل عدة مناطق و منها كامبانيا و كلابريا .. و غيرها فتحها النورمان و صارت جزءا من مملكة صقلية ، و قد تم طرد أسرة الانجويين منها لكن ممتلكاتهم أصبحت باسم نابولي . ينظر : **الموسوعة العربية الميسرة** ، ص 3338 .

[4] – عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار : **المرجع السابق** ، ص 63 .

[5] – عبد الحميد البطريق : **المرجع السابق** ، ص 77 .

حليفة لإسبانيا ، فقد شاركت معها في الحروب و الحملات ضد المسلمين في المغرب و الأندلس ، رغبة منها في الحد من نفوذ وتوسع الإمبراطورية العثمانية و خوفا على مصالحها و ممتلكاتها .

وهنا لابد من الضروري ذكر العناصر التالية : (الحملات على الدولة العثمانية و إيالاتها – القرصنة و الجهاد البحري – الأسرى)

1– حملات نابولي حليفة إسبانيا على الدولة العثمانية و إيالاتها :

اكتسبت إسبانيا حلفاء أوروبيين و من بينهم الجنويين و النابوليين ضمتهم لجيشها لبناء الأسطول البحري و تقويته للمشاركة به في الحملات البحرية ضد الدولة العثمانية و إيالاتها .

كحملة شارلكان على تونس 942 هـ – 1534م ، و حملته كذلك ضد إيالة الجزائر سنة 948 هـ – 1541 م .

و في سنة 957 هـ- 1550 م غزا قراصنة جنوة و نابولي المهدية بسبب ضعف الدولة الحفصية و أخذوا ما فيها و هدموا سورها ، ثم راحوا لجربة و غنموا كل ما فيها و مكثوا بها فترة من الزمن الى أن افتكها منهم درغوث باشا [1].

و كما لا ننسى المعركة المشهورة و المعروفة معركة ليبانت 979 هـ – 1571 م التي شنتها إسبانيا ضد الدولة العثمانية .

و احتدمت نيران المعركة بين الطرفين الدولة العثمانية و إسبانيا و كان الأسطول الجزائري بقيادة كلج علي ، لكن في النهاية انقلبت المعركة ضد المسلمين و أحيط بهم [2].

و هذا بسبب تحالف بعض دول أوروبا مع إسبانيا التي تمكنت من كسبهم إلى جانبها ، أثناء صراعها مع فرنسا ، و منها فرصة للاتحاد ضد المسلمين ، و هكذا توالت حملات إسبانيا و

[1] – إراهيم سعيود :**القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجا** ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، العدد 11 ، 2011 م ، ص155 .

[2] – أحمد توفيق المدني ، **المرجع السابق** ، 398 .

حلفائها ضد الدولة العلية و إيالاتها ،كحملة دون خوان على تونس 981 هـ – 1573 م و كذلك الحملات ضد طرابلس الغرب .

و هذا ما جعل السلطان العثماني ينبه حكام الإيالات بخروج سفن إسبانيا و حلفائها للهجوم على إيالات المغرب العثمانية مع ضرورة التجهيز و الاستعداد للالتحاق بالأسطول العثماني لمواجهة العدو ،كما في الرسالة الموجهة إلى بايلرباي طرابلس الغرب و جاء فيها ما يلي :

" ..**إن الكفار (إسبانيا) قاموا بجمع سفنهم ومراكبهم إلى جانب سفن نابولي، على أساس أنه في حالة عدم خروج الأسطول العثماني في هذا الموسم، ينوون إلحاق الضرر بطرابلس الغرب ... نأمرك بجمع وحدات السفن التابعة لكم بأكملها وترتيبها وتحضيرها، ولما تصلكم أخبار عن اقتراب ورود الأسطول العثماني، فعليكم بالالتحاق به والاتحاد معه والاستعداد بالوجه المناسب لملاقاة الأعداء**"[1] .

كما أن إسبانيا و حلفائها أرادوا احتلال كل منطقة الشمال الإفريقي و خاصة الساحلية منها و الحيوية انتقاما من المسلمين . فتوالت حملاتهم وهجماتهم ضد إيالات المغرب بعد أن انتزعها منهم العثمانيين .

ألحقت إسبانيا أضرارا خفيفة بجزيرة قرنقة سنة 984 هـ – 1576 م ، و تمكنت من أسر عدد من سكان الإيالة ، مع قيامهم بتهديد سكان سواحل الشمال الإفريقي ، غضب السلطان مراد الثالث من تصرف الإسبان فقرر الرد عليهم و الانتقام منهم [2] .

و قبل أن يستولي الإسبان على الجزيرة أرسل بايلرباي إيالة تونس رسالة إلى الباب العالي يخبره بنية الإسبان لاستيلائهم على جزيرة قرنقة ، وكذا قيامهم بحملة ضد بلاد المغرب و إلحاق

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 7 ، ص 512 بتاريخ 25 ذي القعدة 975 هـ / 21 جوان 1568 / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 184 .

[2] – عزيز سامح آلتر : **المرجع السابق** ، ص 248 .

الضرر به ، لذا طلب من السلطان ضرورة خروج الأسطول الهمايوني لصد الهجوم و ملاقاة العدو ، و الرسالة الموجهة إلى السلطان العثماني باستانبول تنص :

" وصلت إلى صدارة الباب العالي رسالة من بايلرباي إيالة تونس ينذر فيها بأنه في حالة عدم خروج الأسطول العثماني خلال هذه السنة إلى غرب البحر المتوسط، فإن أسطول الكفار (الإسبان) ينوي القيام بحملة ضد بلاد المغرب وإلحاق الضرر بها. وبالفعل ففي 25 ربيع الأول من سنة 984 / 22 جوان 1576 خرج الكفار بأسطول ... ونزلوا بجزيرة قرقنة التابعة لطرابلس الغرب. وهناك قاموا بإنزال الجيش وهجموا على سكان الجزيرة، اللذين رغم مقاومتهم، لم يكونوا بقادرين على رد تلك الحملة. كما قام العدو بإنزال ما بين 70 و 80 فارسا بواسطة الزوارق، وقاموا بأسر حوالي 300 مسلم، وأحرقوا القرى والمحاصيل، مما اضطر أهل الجزيرة إلى الفرار وعلى إثر السماع بخبر الحملة، عمل حاكم تونس (رمضان باشا) على تجميع الجيش الذي كان يتألف قوامه بحوالي ستة آلاف بين فرسان ومشاة، وقام بتوزيعهم على كل من سوسة والمنستير وبنزرت، من أجل مراقبة تحركات العدو، ورده في حالة الهجوم. وفعلا بعدما قام العدو بالاستيلاء على الجزيرة المذكورة، تقدم نحو الساحل التونسي بغاية التزود بالماء، ولكن الجنود المرابطين هناك، منعوهم من ذلك، وحاربوهم بكل شدة واستطاعوا ردهم على أعقابهم، وقد سحبوا سفنهم ثم توجهوا على أثرها نحو جزيرة قورية القريبة من المنستير، حيث صادفوا سفينة تجارية فرنسية (من نوع شيتيه) فأجبروا قائدها و وقد رجعت تلك السفن إلى نابولي بعد أداء مهمتها في الوقت الذي علم فيه بأن نائب ملك نابولي، ينوي القيام بحملة ضد أرض العرب والإسلام للاستيلاء على السفن وأسرى الترك الذين وعد الملك بهم، مدوه بهدف إخفاء أمرهم وعدم الإخبار عن تحركاتهم، حتى يباغتوا السكان والأهالي بالمنطقة ...." [1].

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 28 ، ص 129 بتاريخ 25 رجب 984 هـ / 18 اكتوبر 1576 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 232 .

و من خلال هذه الحملات الموجهة ضد السلطنة العلية و ولاياتها ، فمن المؤكد أن تكون هناك ردة فعل عليها ، الأمر الذي يحيلنا إلى عنصر القرصنة و الجهاد البحري بين الدولة العثمانية و بعض دويلات إيطاليا ، و هذا ما سأذكره في العنصر الموالي .

2 – التنافس البحري بين الدولة العثمانية و إيالاتها ضد إسبانيا و حلفائها :

في ظل الصراع و التنافس المستمر بين الإمبراطورية العثمانية و الإسبانية أصبح البحر المتوسط مسرح لأعمال القرصنة و الجهاد البحري ، خاصة و أن إسبانيا و حلفائها مارسوا القرصنة على البحارة المسلمين و تحرشوا بهم ما جعل المسلمين يقومون بالرد على هذه الأعمال .

و بسبب هزيمة الأسطول الاسباني في بعض المعارك التي خاضوها ضد المملكة و إيالاتها و رغبة منهم في الانتقام من المسلمين قرروا تجهيز المعدات اللازمة لشن هجمات و حملات عليهم ، ما دفع أمير أمراء الجزائر حسن باشا لإعلام الباب العالي بهزيمة العدو ، و لأجل صد عدوانه ارتأ ضرورة إرسال الأسطول الهمايوني ، و لذا أصدر السلطان أوامره للعساكر بتجهيز الأسطول و إرساله بعد مراسلة أمير أمراء الجزائر و طلبه ذلك ، و جاء في نص الأمر ما يلي :

" .... سبق أن أرسلت رسالة إلى عتبتنا العالية ذكرت فيها قيام العدو إثر هزيمة أسطوله في تلك الجهات باستحضارات واستعدادات واسعة، ولأجل دفع مضرته وفساده من جهة البحر، ترى ضرورة إرسال الأسطول الهمايوني المكلل بنصر الله سبحانه وتعالى، وبناء عليه صدرت الأوامر الشريفة بتجهيز العساكر الشمعات الأسطول الهمايوني وتعيين الدستور المكرم وزيري مصطفى باشا . كما نهض أمير الأمراء الكرام أمير الجزائر بياله ... وأنهم إن شاء الله، سيصلون إلى تلك الجهات قريبا. والمأمول من الله سبحانه وتعالى، أن يجعل الفتح والنصر ميسرا، أمام أسطولي الهمايوني، كما ويصيب القهر والمذلة للأعداء المخذولين. لذا نأمرك عند وصول أمرنا الشريف .... وعند وصول أسطولي الهمايوني إلى تلك الجهات، فلتكن حاضرا ومترقبا للأعداء، وبذل ما بوسعه من النوع

الإقدام وحسن الاهتمام النصرة الدين المبين، واعلمنا بكل القضايا المهمة والضرورية الحاصلة في تلك الديار " [1].

و هكذا توالت الأوامر السلطانية بتوالي الغارات و الهجمات من طرف العدو بهدف دفع مضرته و عدوانه.

و في سنة 980 هـ / 1573 م تم الإعداد لخروج الأسطول الهمايوني للجهاد ، أمر السلطان أمير أمراء الجزائر الاستعداد للالتحاق بالأسطول لحماية الثغور الإسلامية و إعلاء دين الله ، و نص الأمر يقول :

" ... هيأ مهمات ومستلزمات السفن الموجودة لديك، والمحاربين وأسلحتهم ومهماتهم الحربية الأخرى، ولا تترك أي نقصان في هذا الجانب ... وابذل كل ما وسعك من جهد لحماية الدين المبين والدولة " [2].

ومن حصيلة المعارك البحرية و القرصنة الغنائم و المتمثلة في السفن الحربية المجهزة بالأسلحة و سفن المؤنة ، أو سفن الامدادات و كما لا ننسى كذلك العساكر و البحارة أو القراصنة أيضا و يعتبرون أسرى عند القبض عليهم من طرف الخصم ، ففي العنصر الموالي يجب أن اتعرض له .

3 – استغلال الطرفين (السلاطين العثمانيين و ملوك أوروبا) الأسرى لصالحهم :

حال ما ذكرت القرصنة و الجهاد البحري تذكر الغنائم والتي منها الأسرى المشكلين ربحا للدولة التي أسرتهم .

---

[1] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 6 ، ص 426 بتاريخ 22 شعبان 972 هـ / 1565 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 181 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 21 ، ص 211 بتاريخ 21 ذي القعدة 980 هـ / 25 مارس 1573 م / عبد الجليل التميمي : **المرجع نفسه** ، ص 214 .

حيث كانت الدولة العثمانية تستخدمهم في الجيش العثماني بعد تأهيلهم ، و آخرين يؤخذون للسراي العثماني لتأهيلهم بغية استخدامهم في وظائف حكومية مختلفة [1].

و على هذا الأساس كان السلاطين العثمانيين يحثون و يؤكدون على حكام الإيالات و خاصة إيالة الجزائر لنقلهم و إرسالهم إلى الباب العالي .

و في الأمر السلطاني الموجه إلى أمير أمراء الجزائر بأن أحد رجال العتبة العلية ترك في سجن الجزائر 300 أسير الذين رغب السلطان نقلهم إلى استانبول ، و نص الأمر يذكر :

" .... **نأمرك بالتمعن، فإذا كان أسرى ... موجودين في الولاية المذكورة، وأيا كان عددهم، والذين هم موجودون في السفن، أرسلهم إلى شرشال وتسلمهم إلى حاكم سنجاق شرشل قدوة الأمراء الكرام مُحَمَّد دام عزه، واحذر أي عمل أو تصرف مغاير للشرع الشريف والأمر السلطاني المنيف** " [2].

[1] – فاضل بيات : **المرجع السابق** ، ص 289 .

[2] – الأرشيف العثماني : **مهمة دفتري** رقم 24 ، ص 145 بتاريخ 28 ذي الحجة 981 هـ / 20 افريل 1574 / عبد الجليل التميمي : **المرجع السابق** ، ص 229 .

خلاصة الفصل :

من خلال هذا الفصل يمكن القول أن علاقة الدويلات الإيطالية بالدلة العثمانية مرت بمراحل و لم تثبت على طبيعة واحدة . و امتازت بأنها علاقات تجارية بالدرجة الأولى و خاصة مع جمهورية البندقية ، تارة هدنة و صلح و تارة أخرى مواجهة و عداء الذي ينشأ بتوسع دولة على حساب الأخرى فأكيد ستشكل خطرا على مصالحها ، كالدولة العثمانية عند توسعها بمنطقة الجبل الأسود و كذا ضمها لبلاد الشام و مصر إثر على مصالح إيطاليا .

و في أوقات الهدنة تتجدد الامتيازات و تمنح لهم لممارسة تجارتهم كما في السابق .

و عندما تحالفت دويلات إيطاليا مع إسبانيا ألد أعداء الإمبراطورية العثمانية أصبح التوتر و المواجهات و الحملات سيد تلك الفترة ، خاصة أثناء دخولها تحت حماية إسبانيا خوفا من استلاء فرنسا عليها ، و هذا ما جعل إسبانيا تستغل الوضع و تحمي تلك الدويلات تحت لوائها .

خاتمة

خاتــمــة :

يعتبر موضوع العلاقات العثمانية الأوروبية و أثرها على الإيالات المغاربية من خلال الوثائق العثمانية خلال النصف الثاني من القرن 10هـ / 16 م موضوع بالغ الأهمية لوجود تلك العلاقات من الوثائق الأرشيفية التي تعد من الأصول و من أهم المصادر التي يعتمد عليها باحثو التاريخ .

و في ختام هذه الدراسة توصلت إلى النتائج التالية :

_ أنه في مستهل القرن 10هـ/ 16م شهدت أوروبا صراعات و حروب فيما بينها كالحروب الدينية التي كانت بين الكاثوليك و البروتستانت و كذا حرب المائة سنة بين فرنسا و إسبانيا و غيرها من الحروب .

_ قبل حلول النصف الثاني من القرن 10هـ / 16م مر المغرب الإسلامي بأوضاع متدهورة نتيجة سقوط دولة الموحدين و صراع الدويلات الثلاث فيما بينها (الزيانية – الحفصية و المرينية) على خلافة عرش الموحدين ، ما جعله عرضة للأطماع الأوروبية .

_ في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية منشغلة في حروبها في المشرق كحروب ضد الصفويين معركة جالديران و الشام و مصر كمعركة الريدانية و مرج دابق و غيرها ، و لم تصب اهتمامها بالمغرب الإسلامي الذي شهد أوضاع مترديةً .

_ العلاقات العثمانية الفرنسية في بدايتها تميزت بالود و الصلح ما يوضح ذلك مساندتها في حروبها ضد إسبانيا و كذا منحها امتيازات و صلاحيات واسعة و التي مارستها إيالة الجزائر كصيد المرجان ، و كذا معاقبة السلطان العثماني بحارة الإيالات المعتدين على السفن الفرنسية .

تعيين القناصل الفرنسيين في الإيالات و خاصة إيالة الجزائر ، المتحدث الرسمي لفرنسا في لدى الحكام العثمانيين ، دليل على وجود علاقات طيبة بينهما .

و فيما بعد بدأت العلاقات العثمانية الفرنسية بالضعف و التلاشي خاصة عند مشاركة فرنسا في معركة ليبانت ضد العثمانيين .

أما انجلترا التي كان دخولها مستجدات أحداث البحر المتوسط متأخرا ، بحيث نشأت علاقاتها مع الدولة العثمانية في عهد الملكة إليزابيث أيام حكم مراد الثالث ، كانت علاقات ودية التي سعت في الحفاظ عليها و توطيدها لحماية تجارتها و ضمان سيرها في أحسن الأحوال .

كان السلطان يأمر حكام الإيالات بالسماح لإنجلترا ممارسة التجارة هناك أي (في بلاد المغرب) و كذلك السماح لهم بممارستها في الشرق.

_ علاقة إسبانيا بالدولة العثمانية علاقة عدائية شرسة كونها مدعومة و محفزة من طرف الكنيسة التي كانت تأجج فيهم الروح الصليبية و نار الثورة ضد المسلمين خاصة بعد توحيد مملكة قشتالة و اراغون بالزواج المقدس و طردها لمسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة 1492 م

و ما يميز تلك العلاقات العدائية كذلك حملاتها الكثيرة على بلاد المغرب كحملة شارل الخامس و حملة دون خوان النمساوي و غيرها.

أما مالطا و الدويلات الإيطالية و أخص بالذكر الدويلات التي ذكرتها في بحثي (جنوة – البندقية – نابولي) لأن هناك دويلات أخرى لم أذكرها كانت علاقاتها بالدولة العثمانية علاقات تجارية بالدرجة الأولى لكنها تميزت بالتذبذب ، تارة هدنة و صلح و تارة أخرى عداء و هجوم ، خاصة بعد تحالفها مع إسبانيا التي شاركت معها في عدة حملات كمعركة ليبانت 1571م .

فالعلاقات الودية كانت علاقة مصالح فقط ، فتخوف بعض دول أوروبا على مصالحها و ممتلكاتها من الإمبراطورية العثمانية ،فحفاظا على تلك المصالح مسارعتهم لعقد الصلح مع الدولة العثمانية و التي بدورها كانت تقبل ذلك بما يخدم مصالحها أيضا .

و عليه فالدارس لموضوع العلاقات العثمانية الأوروبية يجده موضوع شائك و متشعب و واسع يحتاج إلى كثير من الوقت لدراسته دراسة جيدة و مفصلة .

و أختم بحثي بتساؤل شغلني :

هل بقيت العلاقات العثمانية الأوروبية على نفس طابع النصف الثاني من القرن 10هـ/ 16م أم تغيرت توجهاتها خلال القرن 11هـ/ 17م وما يليه، ومن خلال الوثائق العثمانية بالطبع ؟ .

الملاحق

قائمة الملاحق:

الملحق رقم 1 : رسالة من السلطان العثماني سليمان القانوني إلى ملك فرنسا فرانسوا الأول ، التي يرد فيها عن طلبه في تقديم العون في صد استيلاء شارلكان على بلده

الملحق رقم 2 : الرسالة التي بعث بها أهالي الأندلس إلى السلطان بايزيد ، عبارة عن مقطوعات شعرية ليبينوا له المحنة التي يعيشونها من ظلم واضطهاد الاسبان لهم و يطلبون العون و المدد

الملحق رقم 3 : حكم سلطاني موجه إلى بياله باشا من أجل نقل الأسرى لاستانبول

الملحق رقم 4 : شكاية ملك فرنسا للسلطان العثماني من اعتداء بحارة الجزائر على سفنه في فترة عهد الأمان ، لهذا بعث أمر لحكام الايالات لمنعهم من ذلك

الملحق رقم 5 : أمر سلطاني موجه للعلج علي بفتح جزيرة قبرص

الملحق رقم 6 :حكم سلطاني موجه لأهالي الأندلس يبين فيه السلطان العثماني سليم الثاني تعذر إرسال الدعم و العون في تلك الفترة لانشغال الأسطول العثماني فتح جزيرة قبرص.

الملحق رقم 7 : أمر سلطاني موجه الى حكام إيالتي الجزائر و تونس بالبقاء على بصيرة و يقظة لما يقوم به الاسبان .

الملحق رقم (01) : رسالة من السلطان العثماني سليمان القانوني إلى ملك فرنسا فرانسوا الأول ، التي يرد فيها عن طلبه في تقديم العون في صد استيلاء شارلكان على

بلده[1]

الله العلي المعطى المغني المعين
بعناية حضرة عزة الله جات قدرته وعلت كلمته وبمعجزات سيد زمرة الانبياء
وقدوة فرقة الاصفياء محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الكثيرة البركات
وبعوازرة قدس أرواح حماية الاربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى
عليهم أجمعين وجميع أولياء الله أنا سلطان السلاطين و برهان الخواقين متوج
الملوك ظل الله في الارضين سلطان البحر الابيض والبحر الاسود والاناضول والروملي
وقرمان الروم و ولاية ذي القدرية وديار بكر وكردستان واذربيجان والعجم والشام
وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضا التي
فتحها آبائي الكرام وأجدادي العظام بقوتهم القاهرة أنا ابن الله براهينهم و بلاد أخرى
كثيرة افتتحتها بيد جلالتي بسيف الظفر أنا السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان
ابن السلطان بايزيد خان الى فرنسيس ملك ولاية فرانسا وصل الى أعتاب ملجأ
السلاطين المكتوب الذي أرسلتموه مع تابعكم فرانقبان النشيط مع بعض الاخبار التي
أوصيتموه بها شفاهيا وأعلمنا أن عدوكم استولى على بلادكم وانكم الآن محبوسون
وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم وكل ما قلتموه عرض على
أعتاب سرير سدتنا الملوكانية وأحاط به علمي الشريف على وجه التفصيل فصار بتمامه
معلوما فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم فكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر
فان آبائي الكرام وأجدادي العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خاليين من الحرب لاجل
فتح البلاد ورد العدو ونحن أيضا سالكون على طريقتهم وفي كل وقت نفتح البلاد الصعبة
والقلاع الحصينة وخيولنا ليلا ونهارا مسروجة وسيوفنا مسلولة فالحق سبحانه وتعالى
ييسر الخير بارادته ومشيئته وأما باقي الاحوال والاخبار تفهمونها من تابعكم المذكور
فليكن معلومكم هذا تحريرا في أوائل شهر آخر الربيعين سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة
بمقام دار السلطنة العلية
القسطنطينية المحروسة المحمية

فتح بلاد المجر وعاصمتها

وفي ٢٥ ابريل سنة ١٥٢٦ سافر السلطان سليمان من القسطنطينية لمحاربة المجر
الذين كانت الحرب غير منقطعة بينهم وبين العثمانيين على التخوم وكان الجيش العثماني
مؤلفا من نحو مائة ألف جندي و٣٠٠ مدفع و٨٠٠ سفينة في نهر الطونة لنقل
الجيوش من بر الى آخر فسار الجيش تحت قيادة السلطان ووزرائه الثلاثة الى بلاد المجر
من طريق الصرب مارين بقلعة بلغراد التي جعلت قاعدة لاعمالهم الحربية
و بعد أن افتتح الجيش عدة قلاع ذات أهمية حربية على نهر الطونة وصل بجمعه الى وادي
موهاكس في ٢٠ ذي القعدة سنة ٩٣٢ الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٥٢٦ وفي
اليوم الثاني اصطفت الجنود العثمانية على ثلاثة صفوف وكان السلطان ومعه كافة المدافع

الملحق رقم (02) الرسالة التي بعث بها اهالي الاندلس الى السلطان بايزيد ، عبارة عن مقطوعات شعرية ليبينوا له المحنة التي يعيشونها من ظلم واضطهاد الاسبان لهم و يطلبون العون و المدد [1] .

[1] – فريد بك : **المرجع السابق** ، ص 85 .

ملحق رقم 2 :

رسالة الاستغاثة التي أرسلها الأندلسيون على شكل قصيدة شعرية إلى السلطان با يزيد الثاني سنة 1501 م

سلام كريم دائم متجـــــــــــدد ... أخص به مولاي خير خليفـــــــــة
سلام على مولاي ذي المجد و العـــلا ... و من ألبس الكفار ثوب المذلـــــــة
سلام على من وسع الله ملكـــــــه ... و أيده بالنصر في كل وجهـــــــــة
سلام على مولاي من دار ملكـــــه ... قسنطينة أكرم بها من مدينـــــــــة
سلام على من زين الله ملكـــــــه ... بجند و أتراك من أهل الرعايـــــــة
سلام عليكم شرف الله قدركـــــم ... و زادكم ملكا على كل ملـــــــــة
سلام على القاضي و من كان مقله ... من العلماء الأكرمين الأجلـــــــة
سلام على أهل الديانة و التقـــــى ... و من كان ذا راي من أهل المشـــورة
سلام عليكم من عبيد تخلفـــــوا ... بأندلس بالمغرب في أرض غربـــــة
أحاط بهم بحر من الروم زاخـــــر ... و بحر عميق ذو ظلام و لجـــــــــة
سلام عليكم من عبيد أصابهـــــم ... مصاب عظيم يالها من مصيبـــــــة
سلام عليكم من شيوخ تمزقـــــت ... شيوخهم بالنتف من بعد عـــــــزة
سلام عليكم من وجوه تكشفـــت ... على جملة الأعلاج من بعد ستـــــرة
سلام عليكم من بنات عواتـــــق ... يسوقهم اللباط قهرا لخلـــــــوة
سلام عليكم من عجائز أكرهـــت ... على أكل خنزير و لحم الجيفـــــة
نقبل نحن الكل أرض بساطكـــــم ... و ندعو لكم بالخير في كل ساعـــة
أدام الإله ملككم و حياتكـــــــم ... و عافاكم من كل سوء و محنـــــة
و أيدكم بالنصر و الظفر بالعـــدا ... و أسكنكم دار الرضا و الكرامـــة
شكونا لكم مولاي ما قد أصابـــنا ... من الضر و البلوى و عظم الرزيـــة

250

الملحق رقم (03) حكم سلطاني موجه الى بياله باشا من اجل نقل الاسرى لاستانبول[2]

[1] – جمال يحياوي : **سقوط غرناطة و مأساة الاندلسيين 1492 _ 1610 م** ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2004 م ، ص 250 .

[2] – **الارشيف الوطني الجزائري : مهمة دفتري** رقم 09 ، صحيفة 100 ، حكم رقم 256 بتاريخ غرة محرم الحرام 977هـ ، تعريب : مُحَمَّد داود التميمي .

الملاحق :

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 9 صحيفة 100 و 101 حكم رقم 256

اعطى الى محمد جاوش في غرة محرم
الحرام 977

حكم الى بيالة باشا

وصلت الى بابنا المعلا احدى سفن التجار التي كانت
قد ابحرت من جربه الى طرابلس الغرب ومن ثم الى متون (مالطة)
في ثلاث ايام وعلمنا ممن فيها ، بانه بعد القيام باستطلاع احوال الكفار –
اصابهم الدمار قد ورد خبر من اعراب مزود وجل القاطنين قرب رمضان الى
علي دام اقباله اميرامراء الجزائر اثناء قيامه في تونس .
ومفاد ذلك الخبر ان احد اقرباء ملك اسبانيا المدعو (برابر)
قد هاجمهم على راس مئة وخمسين الف جندي وبعد قيام حرب ضارمه بينهم
تمكنوا من هزم الكفار واسر العديد منهم وانهم عرضوا على المشار اليه ارسال
قدرغات ورجال لاخذ مايريده من الاسرى وبناء على ذلك فقد بعث المذكور
بسبعه عشر قدرغه بكامل رجالها وقبطانيها لجلب تلك الاسارى
كما ذكر اصحاب السفينة عن سماعهم بارسال الاسبان لخمسة
وعشرين قدرغة محملة بالعتاد والذخيرة لنجدة البند قانيين الا انهم ليسوا
متاكدون من صحة ذلك الخبر كما ورد خطاب من دوبرونيك ، مفاده ان لدى
البند قانيين مئة قدرغة ، وانهم يعملون على بناء عشرين (خرده قالية)
كما ان لديهم اثناء عشر ماونه) فاذا تم بناء القاليتات فسيبلغ عدد سفنهم
مئة واثنين وثلاثين قطعة من قدرغة وقالية وماونه لذا ، فانني امرك
باليقظة والاهتمام بتتبع احوال واطوار الكفار اصابهم الدمار ولتسعى لاخذ
المجديين من اسراهم وحاول التاكد وكشف الفكر الفاسد والرأي الكاسد
للملاعين المفسدين وبعناية الله تعالى وبموجب ذلك يمكنك اعداد العدة
لهم على الوجه الذي تراه مناسبا وبعناية الحق وهداية المعين المطلع
فلتسعى وتهتم بكل ما من شانه اعلاء شانك .
وامرت :
ان نضرع جميعا الى الحق سبحانه وتعالى بان يقهر ويذل اعداء الدين و
الدولة ، وان يهب لاوليائه النصر على الكفار جعل مأواهم النار وان ييسر
لهم الفتح والنصر ، والعودة غانمين سالمين وقد سبق ارسال حكمي
الشريف بشان ارسال قيودان قوله ([illegible]) عبد الجبار اواى رئيس آخر
تراه مناسبا وذلك للحيلولة دون تكرار اللوند عمال السطو على السوحل

[illegible] 1049

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

الملحق رقم (04) : اشتكى ملك فرنسا للسلطان العثماني من اعتداء بحارة الجزائر على سفنه في فترة عهد الامان ، لهذا بعث امر لحكام الايالات لمنعهم من ذلك [1]

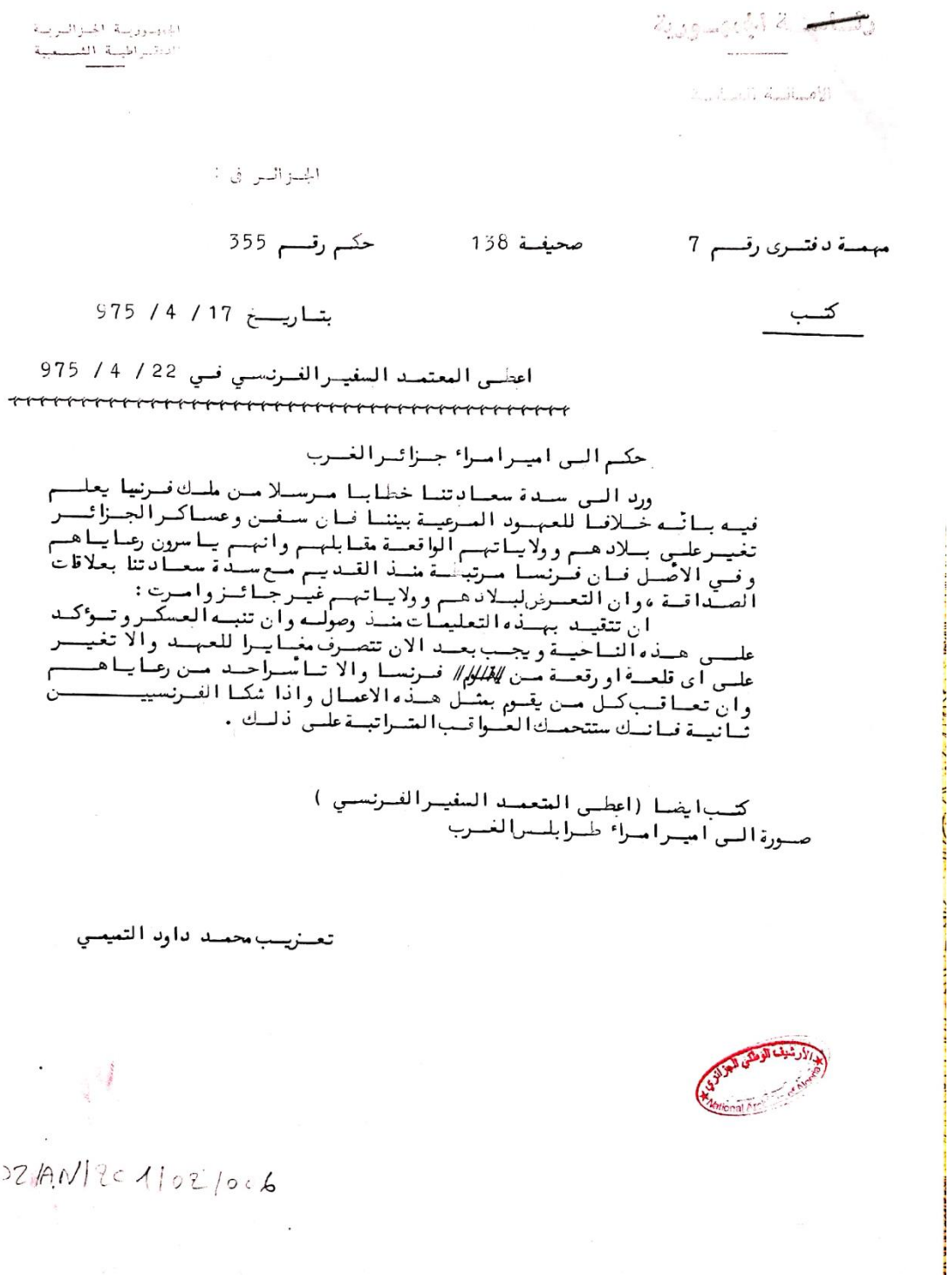

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 7 صحيفة 138 حكم رقم 355

كتب بتاريخ 17 / 4 / 975

اعطى المعتمد السفير الفرنسي في 22 / 4 / 975

حكم الى اميرامراء جزائر الغرب

ورد الى سدة سعادتنا خطابا مرسلا من ملك فرنسا يعلم فيه بانه خلافا للعهود المرعية بيننا فان سفن وعساكر الجزائر تغير على بلادهم وولاياتهم الواقعة مقابلهم وانهم ياسرون رعاياهم وفي الاصل فان فرنسا مرتبطة منذ القديم مع سدة سعادتنا بعلاقات الصداقة ، وان التعرض لبلادهم وولاياتهم غير جائز وامرت :

ان تتقيد بهذه التعليمات منذ وصوله وان تنبه العسكر وتؤكد على هذه الناحية ويجب بعد الان تتصرف مغايرا للعهد والا تغير على اى قلعة او رقعة من [illegible] فرنسا والا تاشراحد من رعاياهم وان تعاقب كل من يقوم بمثل هذه الاعمال واذا شكا الفرنسيين ثانية فانك ستتحمل العواقب المترتبة على ذلك .

كتب ايضا (اعطى المتعمد السفير الفرنسي)
صورة الى اميرامراء طرابلس الغرب

تعريب محمد داود التميمي

الارشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

DZAN/Sc/1/02/046

[1] – **الارشيف الوطني الجزائري : مهمة دفتري** رقم 07 ، صحيفة 138 ، حكم رقم 355 بتاريخ 17 ربيع الآخر 975 هـ ، تعريب : مُحَمَّد داود التميمي .

الملحق رقم (05) بعد الانجازات التي قام بها علج علي من هزم الاسبان في الجزائر و تعميرها ، و كذا مساعدة مسلمي الاندلس و غيرها ، امره السلطان بأن يقوم بفتح جزيرة قبرص لتحرشهم بالمسلمين و الاعتداء عليهم وقطع طريق الحجاج [1]

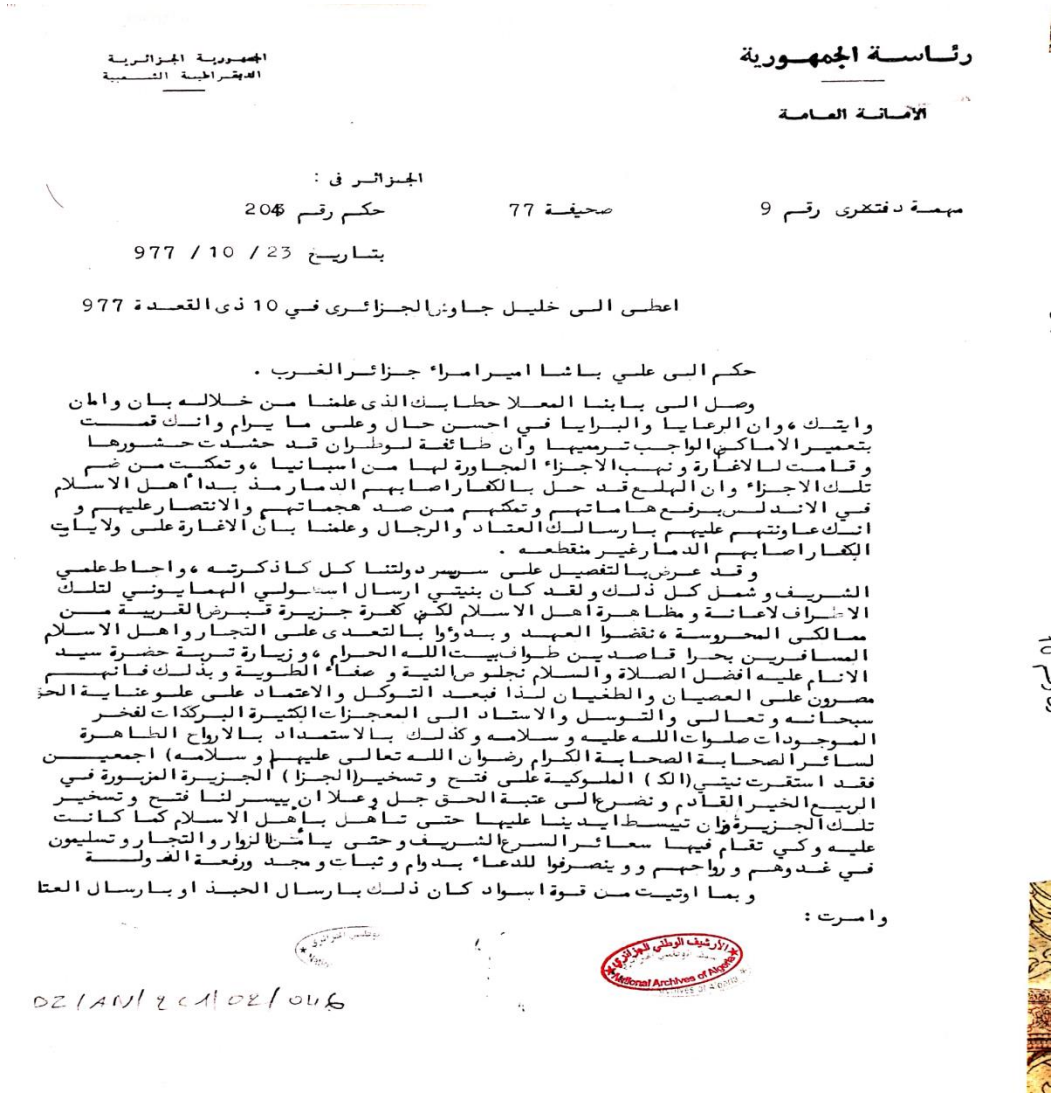

رئاسة الجمهورية
الأمانة العامة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجزائر في :

مهمة دفتكرى رقم 9 صحيفة 77 حكم رقم 204

بتاريخ 23 / 10 / 977

اعطى الى خليل جاوش الجزائرى في 10 ذى القعدة 977

حكم الى علي باشا اميرامراء جزائر الغرب .

وصل الى بابنا المعلا خطابك الذى علمنا من خلاله بان وامان وايتك ، وان الرعايا والبرايا في احسن حال وعلى ما يرام وانك قمت بتعمير الاماكن الواجب ترميمها وان طائفة لوطران قد حشدت حشودها وقامت للاغارة ونهب الاجزاء المجاورة لها من اسبانيا ، وتمكنت من ضم تلك الاجزاء وان الهلع قد حل بالكفار اصابهم الدمار منذ بدأ اهل الاسلام في الاندلس يرفع هاماتهم وتمكنهم من صد هجماتهم والانتصار عليهم و انك عاونتهم عليهم بارسالك العتاد والرجال وعلمنا بان الاغارة على ولايات الكفار اصابهم الدمار غير منقطعه .

وقد عرض بالتفصيل على سريرسر دولتنا كل كاذكرته ، واحاط علمي الشريف وشمل كل ذلك ولقد كان بنيتي ارسال اسطولي الهمايوني لتلك الاطراف لاعانة ومظاهرة اهل الاسلام لكن كثرة جزيرة قبرص القريبة من ممالكي المحروسة ، نقضوا العهد وبدؤوا بالتعدى على التجار واهل الاسلام المسافرين بحرا قاصدين طواف بيت الله الحرام ، وزيارة تربة حضرة سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام نجلو صالنية و صفاء الطوية وبذلك فانهم مصرون على العصيان والطغيان لذا فبعد التوكل والاعتماد على علو عناية الحق سبحانه وتعالى والتوسل والاستاد الى المعجزات الكثيرة البركات لفخر الموجودات صلوات الله عليه و سلامه وكذلك بالاستمداد بالارواح الطاهرة لسائر الصحابة الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم و سلامه) اجمعين فقد استقرت نيتي (الكـ) الملوكية على فتح وتسخير (الجزا) الجزيرة المزبورة في الربيع الخير القادم ونضرع الى عتبة الحق جل وعلا ان ييسر لنا فتح وتسخير تلك الجزيرة وان تبسط ايدينا عليها حتى تاهل باهل الاسلام كما كانت عليه وكي تقام فيها سعائر الشرع الشريف وحتى يامن الزوار والتجار وتسليمون في غدوهم ورواحهم ويتصرفوا للدعاء بدوام وثبات ومجد ورفعة الدولة

وبما اوتيت من قوة اسواد كان ذلك بارسال الجند او بارسال العتا

وامرت :

DZ/AN/ع ك/02/016

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

[1] – **الارشيف الوطني الجزائري : مهمة دفتري** رقم 09 ، صحيفة 77 ، حكم رقم 204 بتاريخ 23 ذو القعدة 977هـ ، تعريب مُحَمَّد داود التميمي .

رئـاسـة الجمهـورية

الأمـانـة العـامـة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجزائر في :

تـابـــــع

وامرت :
عليك بالتنفيد بما جاء في هذا الحكم حال وصوله ،وان تعاون وتظاهر اهل الاسلام المذكورين بكل مايتيسر تقديمه لهم وان الغفلة عن الكفار اصابهم الدمار غير جائزة فلتكن على بصيرة من الامر ولتظهر انواع اقدامك واصناف اهتمامك في سبيل الامور المتعلقة بالدين المبين ودولتي الابدية الكرونية ولا تتوانى عن اعلامنا باحوال واوضاع تلك الديار .

تعريب : محمد داود التميمي

ZIAN/2c1102/046

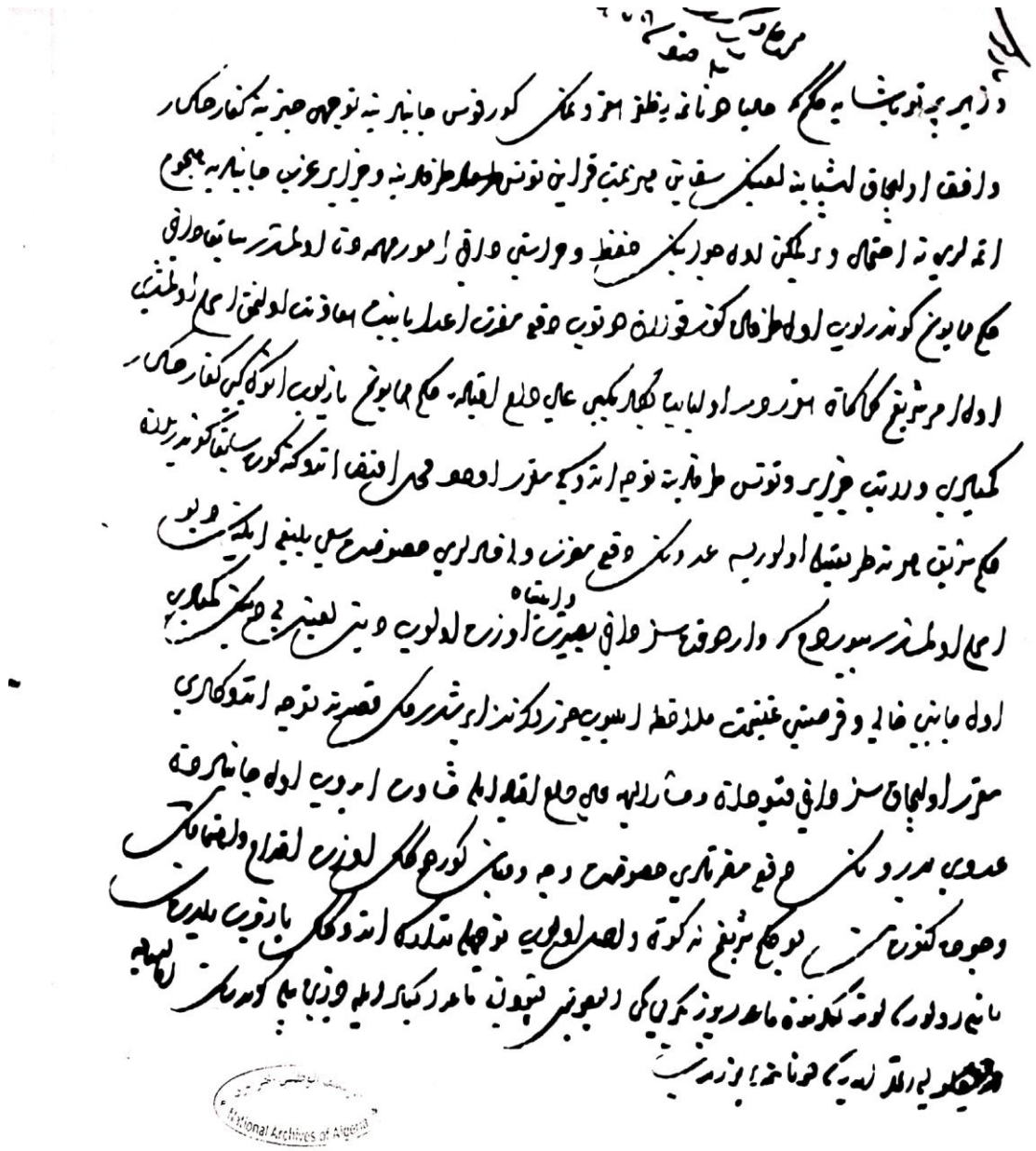

National Archives of Algeria

Tasnifin cinsi	Liste Fusil) 1c
Numarası	17

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

ملحق رقم (06) : ارسل السلطان العثماني سليم الثاني حكم الى اهالي الاندلس بعدما وصلته اخبار احوالهم ، يوضح فيها عن عدم امكانية ارسال الدعم و العون في تلك الفترة كون ان الاسطول العثماني مازال منشغلا بمهمة فتح جزيرة قبرص. [1]

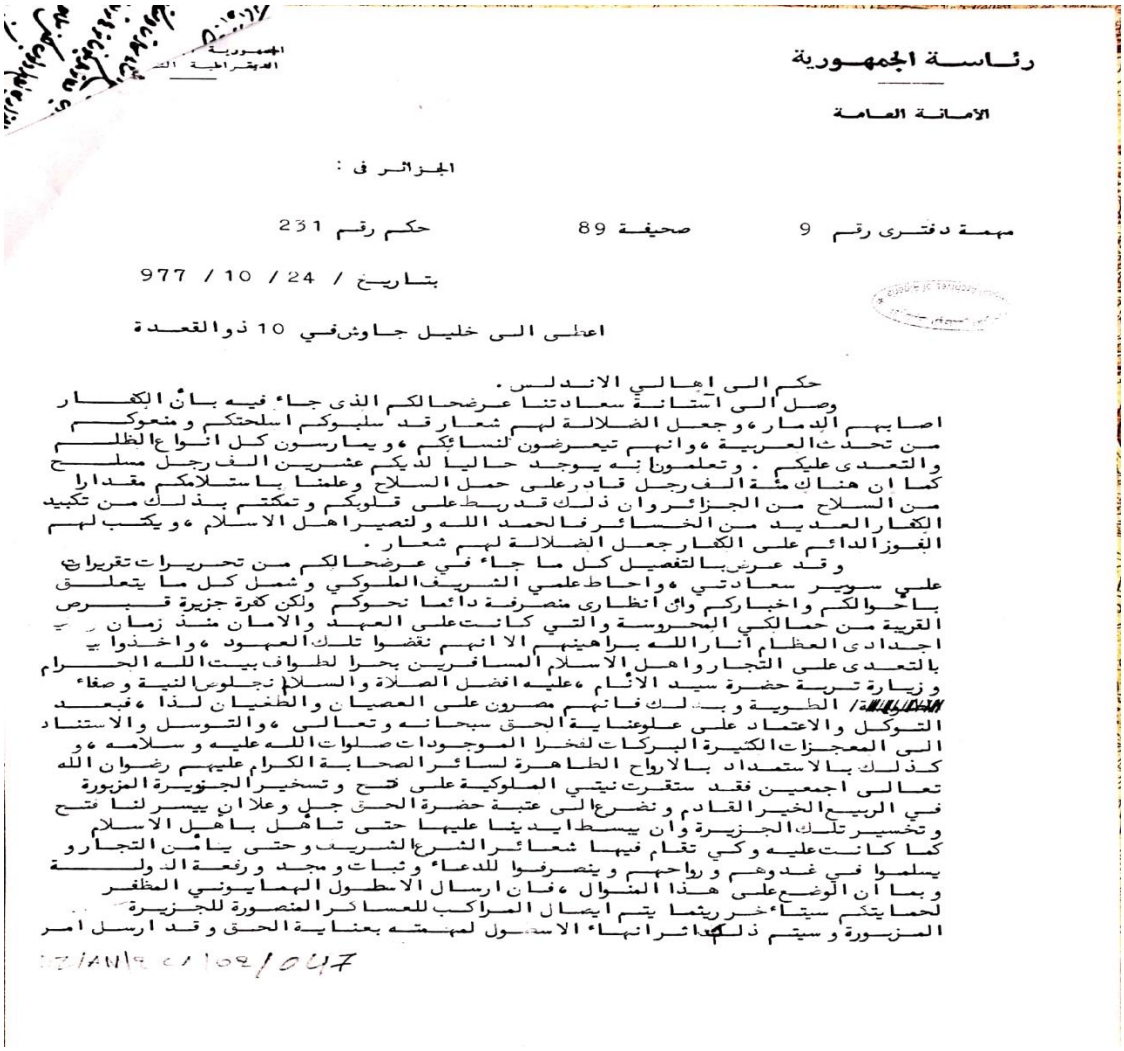

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 9 صحيفة 89 حكم رقم 231

بتاريخ / 24 / 10 / 977

اعطى الى خليل جاوش في 10 ذو القعدة

حكم الى اهالي الاندلس .

وصل الى استانة سعادتنا عرضحالكم الذى جاء فيه بان الكفار اصابهم الدمار ، وجعل الضلالة لهم شعار قد سلبوكم اسلحتكم و منعوكم من تحدث العربية ، وانهم تيعرضون لنسائكم ، و يمارسون كل انواع الظلم والتعدى عليكم . وتعلمونا بانه يوجد حاليا لديكم عشرين الف رجل مسلح كما ان هناك مئة الف رجل قادر على حمل السلاح وعلمنا باستلاكم مقدارا من السلاح من الجزائر وان ذلك قد ربط على قلوبكم و تمكنتم بذلك من تكبيد الكفار العديد من الخسائر فالحمد الله ولنصير اهل الاسلام ، و يكتب لهم الفوز الدائم على الكفار جعل الضلالة لهم شعار .

وقد عرض بالتفصيل كل ما جاء في عرضحالكم من تحريرات تقريرات علي سوير سعادتي ، واحاط علمي الشريف الملوكي و شمل كل ما يتعلق باحوالكم واخباركم وان انظارى منصرفة دائما نحوكم ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة من حمالكي المحروسة والتي كانت على العهد والامان منذ زمان اجدادى العظام انار الله براهينهم الا انهم نقضوا تلك العهود ، واخذوا بالتعدى على التجار واهل الاسلام المسافرين بحرا لطواف بيت الله الحرام وزيارة تربة حضرة سيد الانام ، عليه افضل الصلاة والسلام تجلوعن النية و صفاء الطوية و بذلك فانهم مصرون على العصيان والطغيان لذا ، فبعد التوكل والاعتماد على علوعناية الحق سبحانه وتعالى ، والتوسل والاستناد الى المعجزات الكثيرة البركات لفخرا الموجودات صلوات الله عليه و سلامه ، و كذلك بالاستمداد بالارواح الطاهرة لسائر الصحابة الكرام عليهم رضوان الله تعالى اجمعين فقد ستقرت نيتي الملوكية على فتح و تسخير الجزيرة المزبورة في الربيع الخير القادم و نضرع الى عتبة حضرة الحق جل وعلا ان ييسر لنا فتح و تخسير تلك الجزيرة وان يبسط ايدينا عليها حتى تاهل باهل الاسلام كما كانت عليه وكي تقام فيها شعائر الشرع الشريف وحتى يامن التجار و يسلموا في غدوهم و رواحهم و ينصرفوا للدعاء وثبات و مجد و رفعة الدولة وبما ان الوضع على هذا المنوال ، فان ارسال الاسطول الهمايوني المظفر لحمايتكم سيتاءخر ريثما يتم ايصال المراكب للعساكر المنصورة للجزيرة المزبورة و سيتم ذلك باثر انهاء الاسطول لمهمته بعناية الحق و قد ارسل امر

[1] – **الارشيف الوطني الجزائري : مهمة دفتري** رقم 09 ، صحيفة 89 ، حكم رقم 231 بتاريخ 24 ذو القعدة 977 ، تعريب مُحَمَّد داود التميمي .

الملحق رقم (07) [1]: قام الاسبان بالهجوم على ايالة الجزائر و تونس ما جعل السلطان العثماني سليم الثاني بأن يرسل حكم الى حكام الايالات ليكونوا على بصيرة و يقظة لما يقوم به الاسبان .

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 10 صحيفة 19 حكم رقم 22

كتب بتاريخ 2 / 1 / 979

اعطى الى محمد جاوش في 3 صفر 979

حكم الى القيودان على باشا

وصل الى سدة سعادتنا خطابك الذى تعلم فيه عن قرارك بملاقات اسطولي الهمايوني وان كل ماذكرته بما يتعلق بذلك الخصوص اصبح معلوما .

وبناء على ورود خبر من امراء دوبرونيك ( ) عن تأهب اسبانيا اقرنها الله بالهزيمة على جزائر الغرب و تونس، فان ا حماية تلك الجوانب اصبح من اهم الامور وامرت :

حال وصوله (الحكم) ان تكون اذنا صاغية ، وعينا ساهرة تجاه تلك الاطراف وان تجد وتسعى لدفع مضرة وفساد الاعداء على الوجه المناسب سواء كان بارسالك مايخي بالمهمة من قطع الاسطول الى امير امراء الجزائر او بذهابك شخصيا الى هناك وعليك ايضا بالتشاور بالامر مع الدستور المكرم وزيري يرتو باشا ادام الله تعالى اجلاله وفيما اذا اقتضى الامر ذهابك شخصيا فعليك بالاتحاد مع امير الامراء علي باشه ولتبذلوا قدراتكم بشأن الخدمات المتعلقة بالدين والدولة وكونوا على بصيرة وانتباه .

تعريب : محمد داود التميمي

امير امراء جزائر بحر سفيد (جزر البحر الابيض)

---

[1]/ الأرشيف الجزائري : **مهمة دفتري** رقم 10 ، صحيفة رقم 19 ، حكم رقم 22 بتاريخ 2 صفر 979هـ / 1572م / تعريب مُحَمَّد داود التميمي .

قائمة المصادر

و المراجع

الوثائق الأرشيفية المنشورة :

-الأرشيف العثماني :

1. **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 14 بتاريخ 3 محرم 979 هـ / 28 ماي 1571 م
2. **مهمة دفتري** رقم 14 ، ص 274 بتاريخ 17 ربيع الاول 978 هـ / 19 اوت 1570 م.
3. **مهمة دفتري** 12 ، ص 173 بتاريخ 2 ذي القعدة 978 هـ / 28 مارس 1571 .
4. **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 12 بتاريخ 3 صفر 979 هـ / 27 جوان 1571 م .
5. **مهمة دفتري** رقم 12 ، ص 173 بتاريخ 2 ذي القعدة 978 هـ / 28 مارس 1571 م
6. **مهمة دفتري** رقم 71 ، ص ص 69 – 70 ، تسلسل 141 ، بتاريخ 17 محرم 1002 هـ / 12 اكتوبر 1593 م
7. **مهمة دفتري** رقم 71 ، ص ص 69 – 70 ، تسلسل 141 ، بتاريخ 17 محرم 1002 هـ / 12 اكتوبر 1593 م.
8. **مهمة دفتري** رقم 03 ، ص 209 بتاريخ 4 ربيع الاول 967 هـ / 4 ديسمبر 1559 م .
9. **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 120 بتاريخ 2 شوال 979 هـ / 17 فيفري 1572
10. **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 120 بتاريخ 2 شوال 979 هـ / 17 فيفري 1572 م
11. **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 120 بتاريخ 2 شوال 979 هـ / 17 فيفري 1572م
12. **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 120 بتاريخ 2 شوال 979 هـ / 17 فيفري 1572م
13. **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 14 بتاريخ 3 محرم الحرام 979 هـ / 28 ماي 1571م
14. **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 4 بتاريخ17 محرم 979 هـ / 11 جوان 1571 م.
15. **مهمة دفتري** رقم 12 ، ص 549 بتاريخ 29 شوال 979 هـ / 15 مارس 1572م

16. **مهمة دفتري** رقم 14 ، ص 1035 بتاريخ 10 محرم 979 هـ / 4 جوان 1571م
17. **مهمة دفتري** رقم 14 ، ص 200 بتاريخ 3 صفر 979 هـ / 27 جوان 1571 م
18. **مهمة دفتري** رقم 14 ، ص 62 بتاريخ 27 محرم 979 هـ / 21 جوان 1571 م
19. **مهمة دفتري** رقم 18 ، ص 135، حكم 288 بتاريخ 23 شوال 979 هـ / 9 مارس 1572
20. **مهمة دفتري** رقم 21 ، ص 211 بتاريخ 21 ذي القعدة 980 هـ / 25 مارس 1573 م .
21. **مهمة دفتري** رقم 21 ، ص 211 بتاريخ 21 ذي القعدة 980 هـ/ 25 مارس 1573م
22. **مهمة دفتري** رقم 24 ، ص 145 بتاريخ 28 ذي الحجة 981 هـ / 20 افريل 1574.
23. **مهمة دفتري** رقم 28 ، ص 129 بتاريخ 25 رجب 984 هـ / 18 اكتوبر 1576 م .
24. **مهمة دفتري** رقم 29 ، ص 85 بتاريخ 3 رجب 984 هـ / 26 سبتمبر 1576 م .
25. **مهمة دفتري** رقم 3 ، ص 315 ، حكم رقم 924 بتاريخ 8 رجب 967 هـ / 4 افريل 1560 م
26. **مهمة دفتري** رقم 3 ، ص 315 بتاريخ 6 رجب 967 هـ / 2 افريل 1560 .
27. **مهمة دفتري** رقم 3 ، ص 58 – 59 بتاريخ 16 شوال 966 هـ / 22 جويلية 1559 م
28. **مهمة دفتري** رقم 35 بتاريخ 3 جمادى الآخر 986 هـ / 7 اوت 1578 م
29. **مهمة دفتري** رقم 40 ، ص 40 بتاريخ 22 صفر 987هـ / 20 افريل 1579
30. **مهمة دفتري** رقم 42 ، ص 85 بتاريخ غرة رجب 989 هـ / 1 اوت 1581 م.
31. **مهمة دفتري** رقم 42 ، ص 86 بتاريخ غرة رجب 989 هـ / 1 اوت 1581 .
32. **مهمة دفتري** رقم 47 ، ص41 بتاريخ 7 ربيع الاول 990 / 1 افريل 1582 م

33. **مهمة دفتري** رقم 5 ، ص 25 بتاريخ 25 رجب 973 هـ / 15 فيفري 1566م
34. مهمة دفتري رقم 5 ، ص 259 بتاريخ 20 جمادى الاولى 973 هـ / 13 سبتمبر 1565 م
35. **مهمة دفتري** رقم 5 ، ص 313 بتاريخ 23 جمادى الثانية 973 هـ / 13 جانفي 1566م
36. **مهمة دفتري** رقم 10 ، ص 12 بتاريخ 03 صفر 979 هـ / 27 جوان 1571م .
37. **مهمة دفتري** رقم 22 ، ص 51 ،تسلسل 108 ، بتاريخ 12 صفر 981 هـ / 13 حزيران / يونيو 1573 م
38. **مهمة دفتري** رقم 5 ، ص94 بتاريخ 12 صفر 973 هـ / 8 سبتمبر 1565 م
39. **مهمة دفتري** رقم 52 ، ص 240 بتاريخ محرم 992 هـ / 1 فيفري 1584/
40. **مهمة دفتري** رقم 6 ، ص 263 بتاريخ 29 جمادى الاولى 972 هـ / 2 جانفي 1565 م.
41. **مهمة دفتري** رقم 6 ، ص 266 بتاريخ 29 جمادى الثانية 972 هـ / 1 فيفري 1565 م
42. **مهمة دفتري** رقم 6 ، ص 266 بتاريخ 29 جمادى الثانية هـ / فيفري 1565 م
43. **مهمة دفتري** رقم 6 ، ص 426 بتاريخ 22 شعبان 972 هـ / 1565 م .
44. **مهمة دفتري** رقم 60 ، ص 201 ، حكم 472 و 61 ، ص 30 حكم 85 بتاريخ 2 ربيع الآخر 994 هـ / 23 آذار / مارس 1586 ، .
45. **مهمة دفتري** رقم 67 ، ص 84 بتاريخ 25 ربيع الاول 999 هـ / 21 جانفي 1591
46. **مهمة دفتري** رقم 7 ، ص 138 ، حكم 355 بتاريخ 17 ربيع الآخر 975 / 21 اكتوبر 1667 م
47. **مهمة دفتري** رقم 7 ، ص 512 بتاريخ 25 ذي القعدة 975 هـ / 21 جوان 1568 م

48. **مهمة دفتري** رقم 7 ، ص 512 بتاريخ 25 ذي القعدة 975 هـ / 21 جوان 1568 .

-المصادر الاجنبية :

-Fray Diego De Haedo :Histoire des Rois D'alger ,tra :par :H-D –De Grammont, Adolphe Jourdan Libraire Editeur , Alger , 1881 .

المراجع العربية والمعربة :

1- أرسلان شكيب : تاريخ الدولة العثمانية ، تح : حسن السماحي سويدان ، ط 1 ، دار ابن كثير للطباعة و النشر و التوزيع ، لبنان ، 1432 هـ/ 2011

2- الأرقش دلندة المغرب العربي الحديث من خلال المصادر ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2003 م.

3 – ألتر عزيز سامح : الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ، تر : محمود علي عامر ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1409هـ/ 1989م .

4 – أوزتونا يلماز : موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري و الحضاري 629 -1341هـ /1231 – 1922م، تر: عدنان محمود سلمان ومحمود الانصاري ، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، لبنان،

5- إتوري روسي : طرابلس تحت حكم الإسبان و فرسان مالطا ، تر : خليفة مُحَمَّد التليسي ، المنشأة للنشر و التوزيع و الإعلان ، طرابلس ، 1969 . الباروني عمر مُحَمَّد : الاسبان و فرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب، (د د ن) ، طرابلس ، 1952م

6- إتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ، تر : خليفة مُحَّد التليسي ، الدار العربية للكتاب ، 1349هـ/ 1974م .

7- الباروني عمر مُحَّد : الاسبان و فرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب، (د د ن) ، طرابلس ، 1952م .

8- براون جفري : تاريخ أوروبا الحديث ، تر: علي المزروقي ، الأهلية للنشر و التوزيع ، الاردن ، 2006 م .

9- برجاوي سعيد أحمد : الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي و العسكري ، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1993 .

10- البطريق عبد الحميد ، نوار عبد العزيز : التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1995 .

11- بيات فاضل : البلاد العربية في الوثائق العثمانية ، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، تق ، خالد ارن ، منظمة التعاون الإسلامي ، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية بإستنبول ، ج 8 ، 2019 .

12- جباره تيسير : تاريخ الدولة العثمانية 1280 – 1924 ، جامعة القدس ، 1436 هـ / 2015 م .

13- رائسي ادريس الناصر : العلاقات العثمانية الاوروبية في القرن 16 م ، ط1 ، دار الهدى للطباعة و النشر ، لبنان ، 2007 .

14- روسو الفونص : الحوليات التونسية مند الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر ، تح : مُحَّد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، (د.س.ن) .

15- السلماني عبد الله طه عبد الله : منهج البحث التاريخي ، دار الفكر ، عمان ، 2009 م .

16– سعيدوني ناصر الدين : أساسيات منهجية التاريخ ، دار القصبة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2014 م .

17- سعيدوني ناصر الدين : الجزائر في التاريخ العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2018م .

18- سعيدوني ناصر الدين : ورقات جزائرية دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط2 ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2009 م .

19- السوري أبي مصعب : مختصر تاريخ الدولة العثمانية، (د.د.ن) ، (د.ب.ن) ، 1440 هـ / 2019 م .

20- الشدياق أحمد فارس : الواسطة في معرفة احوال مالطة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مصر ، 2012 م .

21- الشريف مُحَمَّد الهادي : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال ، تعريب : مُحَمَّد الشاوش و مُحَمَّد عجينة، ط 3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 .

22 - الصلابي علي مُحَمَّد مُحَمَّد : الدولة العثمانية عوامل النهوض و اسباب السقوط ، ط1 ، دار البيارق ، 1421 هـ – 2001 م .

23- العسيلي بسام : خير الدين بربروس و الجهاد في البحر1470 – 1547 ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1400 هـ / 1980 م .

24- أبو علية عبد الفتاح ، ياغي إسماعيل : تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر ، ط 3 ، دار المريخ للنشر ، المملكة العربية السعودية ، 1993 م .

25 - عمر عبد العزيز عمر : دراسات في التاريخ الأوروبي و الأمريكي الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1992 م .

26- بن عميرة مُحَمَّد : منهجية البحث التاريخي ، ط 2 ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2014 م .

27- غطاس عائشة : الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر 1954 م ، 2007 م .

28- ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس و ما كان بها من الاخبار ، تعليق : الطاهر احمد الزاوي ،المطبعة السلفية ،

29 – فارس محمد خير : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي ، (د.س.ن) دراج مُحَمَّد : الدخول العثماني الى الجزائر و دور الاخوة بربروس (1512 – 1543) ، تصدير : ناصر الدين سعيدوني ، الاصالة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1433 هـ – 2012 م .

30 – فيشر هربرت : اصول التاريخ الاوروبي الحديث من النهضة الاوروبية الى الثورة الفرنسية، ط 3، دار المعارف ، مصر ، 2001 م .

31 – فيرو شارل : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي ، تح : مُحَمَّد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1994 .

32 – كوثراني وجيه : تاريخ التأريخ اتجاهات – مدارس – مناهج ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، لبنان ، 2012 م .

33 – مازارن جول : دليل السياسي الناجح ، تر: حسن خميس ، دار الطلائع للنشر و التوزيع و التصدير ، مصر ، 2006 م .

34 – مُحَمَّد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ط 2 ، (د.د.ن) ، (د.س.ن) .

35– محمود سيد مُحَمَّد السيد : تاريخ الدولة العثمانية (النشأة – الازدهار) وفق المصادر العثمانية المعاصرة و الدراسات التركية الحديثة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2002 م.

36– محمود علي عامر ، فارس مُحَمَّد خير : تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الاقصى – ليبية) ، جامعة دمشق ، دمشق ، (د س ن) .

37 – المدني أحمد توفيق :حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492 – 1792 م ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، (د. س. ن) .

38 – مروش المنور : دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير و الواقع ، ج 2 ، دار القصبة ، الجزائر ، 2009 م .

39 – مقلاتي عبد الله : المرجع في تاريخ المغرب الحديث و المعاصر (الجزائر ، تونس ، المغرب ، ليبيا) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2013 م .

40 – ميرغيني ميمونة حمزة : دراسات في منهجية البحث التاريخي ، مر : إحمود اللصاصمة ، دار الخليج ، عمان ، 1432 هـ / 2011م .

41 – ناجي محمود : تاريخ طرابلس الغرب ، تح : عبد السلام ادهم و مُحَمَّد الاسطى ، منشورات الجامعة الليبية كلية الادب ، بيروت ، (د.س.ن) .

42 – نوار عبد العزيز سليمان ، جمال الدين محمود مُحَمَّد: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار العكر العربي للطبع و النشر ، 1419هـ / 1999م .

43 – هلايلي حنيفي : اوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 1429 هـ / 2008 م .

44 – ياغي إسماعيل أحمد : الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث ، مكتبة العبيكات ، (د. ط)، (د. س. ن) .

45 – يحي جلال : تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة، دار المعارف، مصر ، 1982م .

المراجع الاجنبية :

Belhamissi Moulay : Marine et Marins D'alger (1518-1830) .

أطروحات دكتوراه :

1 -بيشي رحيمة : **مراكز حركة الجهاد البحري في بلاد المغارب، ودورها في صد الحملات الأوربية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، مقاربة أرشيفية،** أطروحة دكتوراه علوم ، إشراف إبراهيم سعيود، جامعة غرداية ، 2021-2022.

2 – سعيود إبراهيم : الأسرى المغاربة في إيطاليا ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث ، إشراف : عائشة غطاس ، جامعة الجزائر 2 ، 1430 – 1431 هـ / 2009 – 2010 م .

رسائل الماجستير :

1 – بيشي رحيمة : العلاقات التونسية الاسبانية في اواخر الدولة الحفصية (898- 982هـ / 1494 -1574م)، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث، إشراف شكيب بن حفري، جامعة غرداية ، 2011-2012 .

2 – ثابت جميلة : دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر و دول جنوب غرب أوروبا خلال القرنين 10 – 11 هـ / 16 –17 م ، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 1431 – 1432 هـ / 2010 – 2011 م.

3 – حسنة كمال : العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789 – 1807 م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ : إشراف : عائشة غطاس ، جامعة الجزائر ، 2005 – 2006 .

4 – سعيود إبراهيم : علاقات الجزائر بالدويلات الايطالية خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف : مولاي بلحميسي ، جامعة الجزائر ، 1999 – 2000 .

5 – الشافعي درويش : علاقات الايالات العثمانية في غرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 1431 – 1432 هـ / 2010 – 2011م .

6 – لكحل الشيخ : نشاط وكالة الباستيون و اثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 17 م / 11 هـ (1604 – 1659م) / (1013 – 1070 هـ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف : إبراهيم سعيود ، جامعة غرداية ، 1433 – 1434 هـ / 2012 2013 م .

مذكرات الماستر :

1. أولاد العيد زينب : **جهود خير الدين بربروس في الحوض الغربي للأبيض المتوسط 1518 – 1546 م** ، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث ، إشراف : رحيمة بيشي ، جامعة غرداية ، 1441 – 1442 هـ / 2020 – 2021 م .

المجلات :

1 – بوشنافي مُحَّد : أهمية الوثائق في الكتابات التاريخية عند الدكتور يحي بو عزيز ، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية و التاريخية ، العدد الاول ، 2011 .

2 – بوشنافي مُحَّد : الوثائق العثمانية في كتابة تاريخ الجزائر اثناء العهد العثماني ، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ، العدد 09 ، 2014 م.

3 – سعيود إبراهيم : القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الايطالية نموذجا ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، العدد 11 ، 2011 م .

4 – العماري ستار حامد عبد الله ، الجبوري عباس حسن عبيس: المستعمرات الإسبانية في افريقيا ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية / جامعة بابل ، العدد 21 ، حزيران 2015 م .

5 – المشهداني مؤيد محمود حمد ، رمضان سلوان رشيد : أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1518 – 1830 ، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية غير محكمة ، المجلد 5 ، العدد 16 ، نيسان 2013 م .

المعاجم والموسوعات:

–الموسوعة العربية الميسرة .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات :

العنوان	الصفحة
بسملة	
إهداء	
شكر و عرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	7-1
الفصل التمهيدي : التعريف بالوثائق العثمانية و أهميتها في كتابة التاريخ	
تمهيد	10
أولا: تعريف الوثائق.	10
ثانيا : أهمية الوثائق في كتابة التاريخ	11
الفصل الأول : الأوضاع السياسية للدولة العثمانية و ايالاتها المغاربية و دول أوروبا الغربية (إسبانيا – فرنسا – الدويلات الإيطالية – مالطا – إنجلترا) خلال القرن 10هـ / 16م	
تمهيد : .	17
المبحث الأول : أوضاع الدولة العثمانية خلال القرن 10هـ / 16م	17
المبحث الثاني : أوضاع اوروبا خلال القرن 16م (إسبانيا – فرنسا – الدويلات الإيطالية – مالطا – إنجلترا(	23
_إسبانيا فرنسا _الدويلات الإيطالية _مالطا – انجلترا	33-23
المبحث الثالث : الأوضاع السياسية للإيالات المغاربية خلال القرن 10هـ/ 16م	34
تمهيد	34

فهرس المحتويات :

_الجزائر _طرابلس الغرب _تونس	45-34
خلاصة الفصل .	47
الفصل الثاني : علاقات الدولة العثمانية بدول أوروبا (فرنسا – إنجلترا) الغربية خلال النصف الثاني من القرن 10هـ / 16م من خلال الوثائق العثمانية	
تـمـهيد	50
المبحث الأول : علاقات الدولة العثمانية بفرنسا و أثرها على إيالات المغرب العثمانية خلال النصف الثاني من القرن (10هـ / 16م)	51
أولا: التقارب الفرنسي العثماني	51
ثانيا : مساعدة الدولة العثمانية لفرنسا في حروبها ضد الإسبان	52
ثالثا : المناوشات البحرية بين بحارة الإيالات العثمانية و فرنسا (القرصنة و الجهاد البحري)	53
رابعا : قضية الأسرى بين الدولة العثمانية و فرنسا خامسا : الامتيازات الممنوحة	56
المبحث الثاني : علاقة الدولة العثمانية بإنجلترا خلال النصف الثاني من القرن (10هـ / 16م)	61
أولا : الامتيازات و حرية التجارة لإنجلترا في الدولة العثمانية	63
ثانيا : مساعدة إنجلترا لمسلمي الأندلس	64
ثالثا : تسهيل أمور المبعوثين الانجليز ، و تحرير أسراهم	65
الفصل الثالث : العلاقات العثمانية الاسبانية و اثرها عللا الايالات المغاربية خلال النصف الثاني من القرن (10هـ / 16م)	

فهرس المحتويات :

تمهيد	69
أولا : مساندة العثمانيين لمسلمي الأندلس	69
ثانيا : الحملات الإسبانية على الدولة العثمانية و إيالاتها	71
ثالثا : الجهاد البحري العثماني ضد القراصنة الإسبان.	80
رابعا :اعتماد الأسرى كعامل ضغط بين الدولة العثمانية و إسبانيا.	83
خلاصة الفصل	87
الفصل الرابع : علاقات الدولة العثمانية بمالطا و الدويلات الإيطالية وأثرها على إيالات المغرب العثمانية خلال النصف الثاني من القرن (10هـ / 16م)	
تمهيد	89
المبحث الأول : علاقة الدولة العثمانية بمالطا	90
أولا : الحملات الأوروبية على الدولة العثمانية و إيالاتها المغربية	90
ثانيا : التحرشات البحرية الأوروبية (دويلات إيطاليا) بالدولة العثمانية و إيالاتها و جهاد المسلمين ضدهم	97
ثالثا : قضية الأسرى بين السلطنة العلية ومالطا	99
المبحث الثاني : علاقة الدولة العثمانية بالدويلات الايطالية و اثرها على الايالات المغاربية خلال النصف الثاني من القرن (10هـ / 16م)	102
أولا – إمارة جنوة	103
1 – القرصنة و الجهاد البحري الدولة العثمانية وجنوة الإيطالية	103
2 – قضية الأسرى بين الدولة العثمانية و حلفاء إسبانيا	106
ثـــانيا –البندقية	106
1–العلاقات التجارية بين الدولة العثمانية و البندقية	107
2– الصدام البحري بين حلفاء إسبانيا و العثمانيين في حوض المتوسط :	109
3– الأسرى في العلاقات العثمانية الأوروبية :	112

فهرس المحتويات :

ثــالثـا – علاقات مع نــابولي :	113
1 – حملات نابولي حليفة إسبانيا على الدولة العثمانية و ايالاتها :	114
2 – التنافس البحري بين الدولة العثمانية و إيالاتها ضد إسبانيا و حلفائها :	117
3 – استغلال الطرفين (السلاطين العثمانيين و ملوك أوروبا) الأسرى لصالحهم	118
خلاصة الفصل.	120
خاتمة	122
الملاحق	125
قائمة المصادر و المراجع	136
فهرس المحتويات	148
ملخص	152

الملخص:

تتمحور الدراسة الموسومة ب: العلاقات العثمانية الأوروبية وأثرها على الإيالات المغاربية خلال النصف الثاني من القرن(10هـ/ 16م) في الوثائق العثمانية، حول طبيعة العلاقات التي نسجتها الدولة العثمانية العلية مع دول أوروبا الغربية خلال الفترة مجال البحث، وما آلت إليه من تطورات سياسية وتأثيرات عسكرية على ساحة الأحداث الواقعة في الإيالات المغاربية الثلاث (الجزائر – تونس – طرابلس الغرب)، وذلك في خضم ما أشارت إليه الوثائق العثمانية التي يحتفظ بها مركز الأرشيف الوطني الجزائري وكذا الأرشيف العثماني حول موضوع الدراسة، والتي تعد بدورها مصدر تاريخي لا يمكن الاستغناء عنه من طرف الباحث الطموح لمحاولة استنطاق ما جاءت به هذه الوثائق من مادة علمية تاريخية معرفية حول واقع هذه العلاقات وسيرورتها وكذا أبعادها وتأثيراتها على الإيالات العثمانية المغاربية، حيث أعطت الأخيرة تصورا ملموسا عن مكنون العلاقات العثمانية الأوربية التي كانت تتسم بالعداء في الغالب لدرجة وصفها المؤرخون بفترة الحرب الضروس خلال هذه الحقبة الحاسمة من تاريخ كل قطر من الأقطار المغاربية.

وبذلك فإن طبيعة العلاقات العثمانية الأورومتوسطية قد كانت عاملا مباشرا في تعرض الأقطار المغاربية العثمانية للعديد من الحملات الأوروبية من باب عمل الدول الأوروبية بسياسة رد الكيل بمكيالين وضرب الاستراتيجية العثمانية في أهم إيالاتها.

الكلمات المفتاحية: العلاقات العثمانية الأوروبية – الوثائق العثمانية – الدولة العثمانية – الدول الأوربية– الإيالات المغاربية – الحروب الأوروبية.

Abstract:

ملخص :

The study, tagged with:*Ottoman-European relations and their impact on the Maghreb provinces during the second half of the 16th century AD in the Ottoman documents, revolves around the nature of the relations that the Attic Ottoman state woven with the countries of Mediterranean Europe during the research period, and its political developments and influences. Military on the scene of events in the three Maghreb provinces: (Algeria - Tunisia – Tripoli in the West), in the midst of what was indicated by the Ottoman documents kept by the Algerian National Archives Center on the subject of the study, which in tum is an indispensable historical source for the researcher. The ambition is 10 try to interrogate what came out of these documents of scientific,

historical and cognitive material about the reality and course of these relations as well as their dimensions and effects on the Ottoman Maghreb provinces, as the latter gave a tangible perception of the hidden Ottoman-Euro-Mediterranean relations that were often characterized by hostility to the extent that historians described itas a period of fierce war during this period. The decisive period in the history of each of the Maghreb countries.

Thus, the nature of the Ottoman-Euro-Mediterranean relations was a direct factor in the exposure of the ottoman Maghreb countries to many European campaigns as a result of

the European countries' policy of responding to double standards and striking the Ottoman strategy in its most important provinces.

Keywords: Ottoman-European relations - Ottoman documents

- Ottoman Empire - European -Mediterranean countries – Maghreb provinces - European wars.